ملامح من قصة إبراهيم عليه السلام
في سورتي البقرة وإبراهيم

(دراسة موضوعية)

د. دخيل بن عبدالله الدخيل

الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه

كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

ملامح من قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم

دراسة موضوعية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أرسله الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وأرشد به من الغي، وبصر به من العمى، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فهذا ملخص للبحث الموسوم بـ"ملامح من قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم". دراسة موضوعية.

تناولت فيه جانباً من جوانب القصص القرآني، حيث كان من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام، وأشد ما جاء في هذه القصة من النصوص تقارباً ما ذكر في سورة البقرة وسورة إبراهيم، وهو ما سلطت الضوء عليه في هذا البحث، ورددت على من قال: إنَّ في القرآن الكريم تكراراً قصصياً لا فائدة منه؛ أو أن يكون مستمدا من الخيال؛ وحاشا أن يكون فيه ذلك، وهو معيب في كلام الفصحاء والبلغاء، فكيف

بكلام الله ﷻ الذي أعجز أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾النساء:٨٧، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾النساء: ١٢٢، وقد تناولت-أيضاً- جوانب عدة من حياة إبراهيم ﵇ ؛ ولا غرو فهو أبو الأنبياء، اتخذه الله خليلاً، كان أمة قانتاً، حنيفاً مسلماً، تسابقت الأمم السابقة إلى الانتساب إليه؛ فرد الله ذلك؛ بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧، وكان البحث قد قسم على النحو التالي:

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها سبب الاختيار، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه تعريف القصة، والفرق بين القصص القرآني وغيره، وأنواع القصص في القرآن الكريم، وأسرار تكرار القصص في القرآن الكريم.

المبحث الأول: جوانب الحديث عن إبراهيم ﵇ في القصة القرآنية.

المبحث الثاني: علاقة قصة إبراهيم ﵇ بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الثالث: أغراض قصة إبراهيم ﵇ في سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

Features of Ibrahim's Story (peace be upon him) in the Qur'an Chapters of Al-Baqrah and Ibrahim

Prepared by:
Dakheel A. Al-Dakheel, PhD
Assistance professor, Department of Qur□anic Sciences
Faculty of Islamic Theology
Imam Muhammad Bin Saud Islamic university

Abstract

This paper investigates one of the most well-chronicled, and well-documented stories in the Qur'an; the story of Ibrahim (peace be upon him), particularly in the Chapters (*Suras*) of Al-Baqrah and Ibrahim due to the extensive similarity between their verses.

One of my objectives in this study is to rebut those who claim that A) there is a meaningless redundancy in the stories of the Holy Qur'an, and B) these stories are merely a figment of imagination (Allah forbid). This is an outrageous allegation if it was directed at the words of a poet and an eloquent orator, and it is even more so when it is directed at Allah’s holy words that render all people speechless, as they can never create something to match His words. Allah Almighty said: {Allah - there is no deity except Him. He will surely assemble you for [account on] the Day of Resurrection, about which there is no doubt. And who is more truthful than Allah in statement.} (the chapter of Al-Nisaa-87). He also said {But the ones who believe and do righteous deeds - We will admit them to gardens beneath which rivers flow, wherein they will abide forever. [It is] the promise of Allah, [which is] truth, and who is more truthful than Allah in statement.} (the chapter of Al-Nissaa-122).

Moreover, there is a discussion of some aspects of prophet Ibrahim's life, and no wonder, as he is the grandfather of all prophets.

Allah chose him, and he was an obedient, allegiant and upright Muslim. All earlier nations claimed having a kinship to him, but Allah has rejected these claims by replying: {Abraham was neither a Jew nor a Christian, but he was one inclining toward truth, a Muslim [submitting to Allah]. And he was not of the polytheists.} (the chapter of Al-i-'Imran-67.)

The research is divided as follows: a preface, an introduction, four chapters, and a conclusion.

1- Preamble: it explains the reason for choosing this topic, the approach that I adopted, and the research plan.
2- Introduction: it includes the main story, the difference between Qur'anic and other kinds of stories, the types of Qur'anic stories, and the secrets of repeating Qur'anic stories.
3- The first section: the aspects of Ibrahim’s life that is covered in the Qur'anic story.
4- The second section: The connection between Ibrahim’s story and the purposes of the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
5- The third section: The purposes of Ibrahim’s story in the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
6- The fourth section: The similarities in content and style in the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
7- Conclusion: it lists the paper’s important findings and recommendations.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وهدانا بالقرآن، قص علينا فيه أحسن القصص، إعجازاً، وترغيباً، وترهيباً، واقتداء وأسوة، موعظة وتسلية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

فيَظُنُّ من قل نظره وعلمه، أنَّ في القرآن الكريم تكراراً قصصياً لا فائدة منه؛ وحاشا أن يكون فيه ذلك، وهو معيب في كلام الفصحاء والبلغاء، فكيف بكلام الله ﷻ الذي أعجز أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ النساء: ١٢٢، وَمِنْ أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم قصة إبراهيم ؑ، فقد تناولت جوانب عدة من حياته؛ ولا غرو فهو أبو الأنبياء، اتخذه الله خليلاً، كان أمة قانتاً، حنيفاً مسلماً، تسابقت الأمم السابقة إلى الانتساب إليه؛ فرد الله ذلك؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران: ٦٧، وقال نبينا ﷺ: (وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ)[1]. وقال ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأنبياء، باب: وكلم الله موسى تكليماً، ٨/ ٤٨٠، ح ٣٣٩٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب:الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ، ١/ ١٠٦، ح ٤٤٢

(نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾البقرة: ٢٦٠[1]. ومن النصوص الأكثر تقارباً ما جاء في سورة البقرة وسورة إبراهيم، وهو ما سأسلط الضوء عليه في هذا البحث من بيان النكت والفروق والفوائد المستقاة من كل نص بإذن الله تعالى.

المنهج الذي سرت عليه:

١. يُتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل؛ دراسة موضوعية في قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم؛ موضحاً مواضع الاتفاق والاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كلا الموضعين.
٢. تحديد الآيات موضع الدراسة .
٣. بيان مواضع الاتفاق والاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كل موضع.
٤. تعليل اختصاص الموضع بما ورد فيه، وعلاقته بمقصود السورة.
٥. بيان علاقة ما ورد من الاتفاق في السورتين – في القصة – وصلته بمقصود السورتين.
٦. الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي به.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، ٨/ ٤٤٥، ح ٣٣٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب، ١/ ٩٢، ٣٩٩

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها سبب الاختيار، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه تعريف القصة، والفرق بين القصص القرآني وغيره، وأنواع القصص في القرآن الكريم، وأسرار تكرار القصص في القرآن الكريم.

المبحث الأول: جوانب الحديث عن إبراهيم عليه السلام في القصة القرآنية.

المبحث الثاني: علاقة قصة إبراهيم عليه السلام بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الثالث: أغراض قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

تعريف القصة لغة واصطلاحاً:

المعنى اللغوي:

قَصَّ أثره قصاً وقصصاً: تَتَبعَه. وقَصَّ الخبر: أعلمه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ الكهف: ٦٤، أي: رَجَعا من الطريق الذي سلكاه يَقُصَّان الأثر. وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ يوسف: ٣: نبين لك أحسن البيان. والقاصُّ: من يأتي بالقِصة[1]، والقِصَص: جمع قِصَّة، وهي الأمر والشأن، والذي يُكتب، والقَصَصُ: الأخبار المتتبَّعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢ [2].

والقِصَّة: الجملة من الكلام.

والقصة: حكاية نثرية طويلة تُستمدُّ من الخيال أو الواقع أو منهما معاً، وتبنى على قواعد معيَّنة من الفن الكتابي. والجمع : قِصَصٌ. "محدثة".

والأُقصُوصَة: القِصَّة الصغيرة، وجمعها: أقاصِيص. والقاصُّ: الذي يروي القصة على وجهها. أو الذي يصنع القصة[3].

المعنى الاصطلاحي:

القصة هي: "حكاية أدبية تدرك لتقص، قصيرة نسبيًا، ذات خطة

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي: مادة (قصَّ) :٨٠٩

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي:٤/ ٢٧١

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه: مادة (قصت) :٧٣٩

بسيطة وحدث محوري يدور حول جانب من الحياة لا في واقعها العادي والمنطقي؛ وإنما طبقًا لنظرية رمزية لا تنمي أحداثًا وبيئات وشخوصًا؛ وإنما توجز في لحظة واحدة حدثًا ذا معنى كبير"[١].

القصص القرآني: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة[٢].

الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي

من التعريف "اللغوي" –السابق– للقصة نجد أنَّ منها ما يستمد من الخيال[٣]، ومنها ما يستمد من الواقع، ومنها ما يستمد منهما معاً، والقصص القرآني هو كلام الله، منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعني فيه بالواقع التاريخي؛ بل حقائق ووقائع وأحداث في سرد تاريخي ثابت لا مرية فيه، تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة؛ فلا مجال للخيال في التصوير والرمزية، مع ما تتحلى به القصة القرآنية من الخصائص الفنية وجمال الذوق والأسلوب في السرد. وهو ما نص الله عليه

(١) وهي محاولة من الدكتور الطاهر أحمد مكي أن يلخص تعريفاً شاملاً للقصة من عدة تعريفات، القصة القصيرة، الطاهر أحمد مكي:٦٧

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان:٣١٧

(٣) قدمت في مصر رسالة لنيل درجة "الدكتوراه" سنة ١٣٦٧هـ، بعنوان"الفن القصصي في القرآن" للباحث"محمد أحمد خلف الله" أثارت جدلاً طويلاً، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة وهو الأستاذ"أحمد أمين" تقريراً بين أن أسسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ، والواقع أن محمداً فنان بهذا المعنى. انظر مباحث في علوم القرآن لمناع:٣٠٨

بقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ آل عمران: ٦٢، وقوله تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ الكهف: ١٣، وقوله تعالى ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾ القصص: ٣، وقوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف: ٧، وقد وصفه بالحسن فقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣

فالفارق - بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات- شاسع في جميع المجالات والمقاصد والأعراض؛ ويتضح أن الغاية أن يكون ذلك القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح والصراط المستقيم؛ فالله تعالى يقول ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣[١].

أنواع القصص في القرآن

للقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين.

(١) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى: ٢١٢

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كطالوت وجالوت وذي القرنين، وقارون، وغير ذلك

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ؛ كغزوة بدر وأحد وحنين، ونحو ذلك[1].

أسرار تكرار قصص القرآن وبيان الحكمة فيها:

يرد القصص القرآني في مواضع ومناسبات، ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصة؛ لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى؛ ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة قد تكررت في صورة واحدة؛ ولذا استخرج العلماء فوائداً وحكماً؛ منها:

- أنَّ في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة؛ وهذه عادة البلغاء[2].
- أنَّ الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور من تقدمهم؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة "موسى" إلى قوم آخرين؛ وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان:٣٠٦

(٢) مثل قوله تعالى ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ طه: ٢٠ ، فذكر هنا "حية" وفي قوله تعالى ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ١٠٧ وعبر هنا بأنها "ثعبان".

وزيادة تأكيد لآخرين[١].

- أنَّ في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.
- أنَّ الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام؛ فلهذا كررت القصص دون الأحكام.
- أنَّ الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع؛ إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي بأي نظم جاءوا، وبأي عبارة عبروا[٢].
- أنَّه لما تحداهم قال: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٣، فلو ذكرت القصص في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي: إيتونا أنتم بسورة من مثله؛ فأنزلها ﷻ في تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه.
- أنَّ القصة الواحدة لو كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى؛ فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم، وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب: ٤/ ٢٤٦٠، البرهان في علوم القرآن، الزركشي:٣/ ٢٦، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٣/ ٢٠٤

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٣/ ٢٠٤-٢٠٥، قال ابن فارس: وهذا هو الصحيح. فقه اللغة:١٧٨

عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه هجنة[1] في اللفظ، ولا ملل عند سماعه؛ فباين ذلك كلام المخلوقين[2].

- أنَّ الله تعالى ذكر كل قصة في سورة من سور القرآن لغير المعنى الذي ذكر حاله في السورة الأخرى؛ فإن القصة الواحدة تشير إلى معان متعددة؛ فيكون في بعض السور مساق الكلام: صبر النبي ﷺ على إيذاء الكفار، والتسلية له بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، وأنهم صبروا وأوذوا أذى عظيماً، فتساق القصص على هذا المعنى، وفي بعض السور يكون مساق الكلام: الإخبار عن إهلاك المعاندين والظالمين، وأن عاقبة أمرهم الهلاك في الدنيا والخزي في الآخرة؛ فتساق القصص على هذا المعنى. وفي بعض السور يكون مساق الكلام الإخبار عن التوحيد، وتبليغ الرسالة، وإرشاد الخلق إلى الله تعالى فتقص القصص على هذا المساق؛ للإشارة إلى أنهم على وتيرة واحدة، ومنهج واحد داعون إلى توحيد الله تعالى وإرشاد الخلق إلى الله تعالى.
- أنَّ القرآن مشتمل على جملة كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم

(١) الهجنة في اللفظ: العيب والقبح فيه. لسان العرب، ابن منظور: مادة "هجن" :١٣/ ٤٢١، القاموس المحيط، الفيروز آبادي "هجن":٤/ ٢٧٩

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي:٣/ ٢٥، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٣/ ٣٠٥

السلام؛ كما دّل على ذلك جملة من الأحاديث[١]، فعلم أنَّ القرآن اشتمل على التوراة والزبور والإنجيل. ولا شك أنَّ التوراة والإنجيل فيها أخبار الأنبياء وقصصهم؛ فيجب في السور التي هي مكان التوراة أن يذكر فيها قصص الأنبياء الذين ذكروا في التوراة، والسورة التي مكان الإنجيل قصص الأنبياء الذين ذكروا في الإنجيل، لم يكن التكرار حينئذ تكراراً؛ بل هو تلخيص لما في التوراة والإنجيل والزبور، وزيادة خصَّ الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ بها وهي المفصل[٢].

الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف في القرآن:

إنَّ من المعروف عن سمات القصص القرآني ظاهرة التكرار؛ وهو أن تتكرر القصة في أكثر من موضع من القرآن، كما في قصة موسى عليه السلام، وقصة نوح عليه السلام وغيرهم من الأنبياء؛ ولكن نجد أنَّ قصة يوسف عليه السلام لم تتكرر في أي موضع من القرآن؛ فقد جاءت في موضع واحد، والسؤال هنا: ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام، وسوقها مساقاً واحداً في

(١) منها: ما جاء عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل) . أخرجه أحمد في مسنده:٤/ ١٠٧، والطحاوي في شرح مشكل الآثار:١٣٧٩، والطبراني في المعجم الكبير:٢٢/ ١٨٦، والبيهقي في دلائل النبوة :٥/ ٤٧٥. وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند:٢٨/ ١٨٨

(٢) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي :٦/ ٣٧١-٣٧٣

موضع واحد دون غيرها من القصص؟، والحكمة في عدم تكرارها كما يراها بعض علمائنا الأجلاء تتجلى فيما يلي: فيها من تشبيب النسوة بيوسف عليه السلام، وتضمنها أخباراً عن حال امرأة ونسوة افتتن بأروع الناس جمالاً، وأرفعهم منالاً؛ فناسب عدم تكرار ما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك؛ ولأنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص؛ فإنَّ مآلها إلى الوبال كقصة نوح وهود وقوم صالح عليهم السلام وغيرهم؛ فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمات القصص.

وفي عدم تكرارها إشارة إلى عجز العرب؛ كأن النبي ﷺ قال لهم : إن كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء[1]، وثمة أمر آخر وهو أنَّ سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم، فقد روى عن سعد بن أبي وقاص أنَّه قال : " أُنزل القرآن فتلاه رسول الله ﷺ على أصحابه زماناً، فقالوا – أي المسلمون بمكة – يا رسول الله لو قصصت علينا ، فأنزل الله ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ١ – ٣ [2]". فنزلت مبسوطة تامة؛ ليحصل لهم

(١) صفوة التفاسير، محمد الصابوني:٥٢

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره:٨/ ٢٨٩(١١٣٢٣) والبزار في مسنده " البحر الزخار ":٣/ ٣١١ (١١٥٢) و (١١٥٣) و أبو يعلى في مسنده:٢/ ٨٧ (٧٤٠) وابن حبان في =

مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفوس بها، والإحاطة بطرفيها؛ استخلاصاً لعبرها ودلالاتها.

ومن أوجه ما يجاب به أنَّ قصص الأنبياء عليهم السلام إنما تكررت؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم وآذوهم؛ والمواقف التي يعيشها النبي ﷺ تستدعي ذلك التكرير؛ ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ، فكلما كذبوا أنزلت قصةٌ منذرةٌ بحلول العذاب كما حل على المكذبين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾الأنفال:٣٨،وقال أيضاً: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنعام: ٦، وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك[1].

=

صحيحه:١٤/ ٩٢ (١٧٤٦) والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٥، وابن جرير في " تفسيره " (١٢/ ٩٠) وصححه الحاكم:٢/ ٣٤٥، ووافقه الذهبي، وحسنه الضياء في المختاره:٢/ ٣٦، وقال ابن حجر في " المطالب العالية "٣/ ٣٤٣:" حديث حسن "، وكذا ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" :٥/ ٥٥، وكذلك صحّحه مقبل الوادعي في " الصّحيح المسند من أسباب النّزول " :٨٨.

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٢/ ١٨٥، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي :٦/ ٣٧٤

المبحث الأول

جوانب الحديث عن إبراهيم عليه السلام في القصة القرآنية

لم يكن ذكر إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى كذكر الأنبياء السابقين؛ بل إنَّ شيخ الحنفاء ذكر في كتاب الله عز وجل من جوانب متعددة؛ ولا عجب فمآثره كثيرة، ومناقبه أجلُّ من أن تعدّ، ولا عجب أن تَرِدَ الإشارات مبكرة حديثاً عن أبي الأنبياء؛ فهذه إشارات نجدها في سورة الأعلى وفي سورة النجم، وفي سورة "ص" ففي سورة الأعلى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾الأعلى: ١٨ -١٩ ؛ولكن سورة النجم تزيد على ذلك ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾النجم: ٣٦ – ٣٧ ، ثم تأتي سورة "ص" وهي التي تحدثت لنا عن بعض الأنبياء عليهم السلام فنجد فيها إشارات لإبراهيم وبنيه: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ص: ٤٥ – ٤٨ ، وبعد هذه الإشارات جاء الحديث عن بعض جوانب من حياته عليه الصلاة والسلام :

أول سورة حدثتنا عن إبراهيم عليه السلام هي سورة مريم، وهي مكية عند الجمهور[1]، وهي سورة نزلت مبكرة، يحدثنا ربنا عز وجل عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى ثم ينتقل الحديث عن إبراهيم وبنيه وبعض الأنبياء عليهم

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٦/ ٥.بتصرف

الصلاة والسلام. وجل ما تحدثت به القصة عن إبراهيم عليه السلام هو في جانب حديث إبراهيم مع أبيه، فقال تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤١ – ٤٩، امتدح الله عز وجل إبراهيم عليه السلام قبل النصيحة لأبيه بأنَّه "كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب وإضافة إلى هذا فإنَّه نبي أوحى الله إليه ونبَّأه"[١]. وفي النظر في القصة نجد تدرجاً عجيباً في دعوة إبراهيم لأبيه يملأه البر والشفقة والعطف والحنان بأُسلوب النداء: فأولها: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ مريم: ٤٢، وكذا يسلك معه الأسلوب الاستفهامي طريقاً غير مباشر في النهي عن عبادة الأصنام، وهو استفهام إنكاري فيه معنى التوبيخ[٢]. وثانيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾ مريم: ٤٣ ، أي: فاعلم أني قد اطلعت على علم من الله لم

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري :١٦/ ٦٨ بتصرف يسير

(٢) فتح القدير، محمد الشوكاني:٣/ ٣٣٥ بتصرف

تعلمه أنت ولا اطلعت عليه، ولا جاءك بعد؛ لذلك أرجو منك اتباعي حتى أدلك على الطريق المستقيم الموصل إلى نيل المطلوب والنجاة من المرهوب[1]. وثالثها: نهيه عن عبادة الشيطان، وفي الكلام تثبيط لأبيه عما هو عليه من الشرك؛ لأنَّه مع خلو ما يعبده من النفع واستلزامه للضر؛ فإنَّه في الحقيقة عبادة للشيطان[2]. ورابعها: الخوف أن يمس أباه عذاب من الرحمن. وهذه هي العاقبة السيئة، إنَّها عذاب من الله الرحمن، وإظهار كلمة الرحمن هنا للإشعار بأنَّ وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب[3].

خامساً: إكرام الله لنبيه إبراهيم ﵇، لما اعتزل إبراهيم قومه وما كانوا يعبدون من دون الله؛ أكرمه الله حيث وهب له أبناء أنبياء، وأسبل عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

ولم يورد الله ﷻ ذكر إسماعيل هنا، لعدة وجوه:

الأول: لأنَّ إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه سارة، وهي قد اعتزلت قومها أيضاً إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم وزوجه؛ لأنَّ هذه الموهبة لما كانت كفاء لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب، وقد كان

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٣/ ١٢٣

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٣/ ١٢٣، تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر:٤/ ٨

(٣) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود :٥/ ٢٦٧

إسماعيل عليه السلام بعيداً عنه[١].

ثانياً: لبيان أنَّه جعل له نسلاً وعقباً أنبياء أقرَّ الله بهم عينه في حياته ولهذا قال ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤٩ [٢].

ثالثاً: لعله أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد[٣].

رابعاً: أنهما خصصا بالذكر؛ لأنهما شجرتا أنبياء بني إسرائيل، والقصد هنا ذكر أنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، وإسماعيل لم يخرج من صلبه إلا محمداً ﷺ[٤].

وفي سورة الشعراء: قوله تعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٦/ ١٢٤

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٣/ ١٢٤

(٣) تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر:٤/ ٩

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري:١٧٠

سَلِيمٍ ﴾ الشعراء: ٦٩ – ٨٩

يحكي الله تعالى ما دار بينه وبين قومه من مناقشات وما توجه به إلى خالقه من دعوات.

عقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة إبراهيم، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في القرآن لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، وفي تمسكهم بضلال آبائهم، وأن إبراهيم دعاهم إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة؛ ليكون إيمان الناس مستنداً لدليل الفطرة، وفي أنَّ قوم إبراهيم لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا مثل ما سلط على قوم نوح وعلى عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين فأشبهوا قريشاً في إمهالهم. فرسالة محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام قائمتان على دعامة الفطرة في العقل والعمل، أي في الاعتقاد والتشريع[1].

أُعطي إبراهيم عليه السلام الحجة القوية الدامغة التي يرد بها على أباطيل قومه، "وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون، سؤال مقرر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة، ثم صوَّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وجل؛ فعظم شأنه

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٩/ ١٤٨

وعدَّد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال، وتمنى الكرَّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا"[١].

وقوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الشعراء: ٦٩ ، هو معنى قوله ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾مريم: ٤١ ، وزاد في الشعراء أنَّ هذا الذي قاله لأبيه من النهي عن عبادة الأوثان قاله أيضاً لسائر قومه[٢]. وفي هذا المقدر تذكير للرسول ﷺ بما يسليه عما يلقاه من قومه[٣].

وفي سورة هود، قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ

---

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٢١، تفسير السراج المنير، الشربيني:٣/ ٤١-٤٢، إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش:٧/ ٩٢

(٢) أضواء البيان، محمد الشنقيطي:٣/ ٤٢٣

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٩/ ١١٨، التفسير المنير، وهبة الزحيلي:١٩/ ١٦٦

وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ هود: ٦٩ – ٧٦ ، تُحدثنا عما كان بينه وبين قومه، وفي الآيات السابقة كان ذلك في البلد الذي نشأ فيه قبل أن يهاجر؛ كما أشارت إليه آيات سورة مريم قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ مريم: ٤٨ – ٤٩ ، "لم يُبَيِّن هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها رسل الملائكة إبراهيم"[(١)]؛ "فقيل: هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ هود: ٧٤، وقيل: هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه ﷺ في شأنهم. والأظهر أنها البشارة بالولد"[(٢)]، وكذا الحديث عن طيب الخلال، وشريف الخصال التي يتحلى بها إبراهيم ﷺ، وما أكرمه الله به، قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ هود: ٦٩، فكانت تحيته أبلغ؛ لأنها جاءت جملة اسمية وليست فعلية، والفرق بين الجملتين: أن الفعلية تدل على الحدوث، بينما الاسمية تدل على الثبوت والدوام، فسلام الملائكة لإبراهيم سلام حادث متجدد، وَرَدُّ إبراهيم عليهم جاء بالثبوت والدوام والاستمرار فكانت تحيته أبلغ[(٣)]، ثم بادر لإكرامهم فجاء

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ٢/ ١٨٥

(٢) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٤/ ٢٢٤

(٣) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٥/ ٢٤١ بتصرف

بعجل ﴿حَنِيذٍ﴾ هود: ٦٩ مشوي، وفي آية الذاريات بَيَّنَ الله أنَّه عجل ﴿سَمِينٍ﴾ الذاريات: ٢٦، وبهذا فإنَّه قد أتاهم بخير ما عنده وفي أسرع وقت، مما يدل على عدم التكرار؛ وإنما زيادة وصف للعجل، وكذا تقريبه الطعام لهم، ولم يضعه وقال: اقتربوا، وفيه أنَّ للمضيف أن ينظر نظرة لطيفة غير محددة النظر إلى ضيفه، هل يأكل أم لا؟

فهذه الأمور لَتَدِل بوضوح على ما تحلى به الخليل عليه السلام من غاية الإكرام، وفيه لنا خير قدوة[١].

ومما ذكر من صفات خيرة بعد ما بشر بإسحق ويعقوب، وأما موقف سارة تجاه البشارة فقد حكاه الله في سورة هود والذاريات، وهو التعجب: كيف ألد وأنا عجوز؟! وقد كنت في حال الصبا والشباب لا أحبل[٢]، وزيد هنا قولها "يا ويلتى" مع بيان حالتها تلك، وهي كلمة أصلها "يا ويلي" وتقال عندما يفجؤ الإنسانَ أمرٌ مهم من بلية أو فجيعة أو فضيحة تعجباً منه أو استنكاراً له أو شكوى منه[٣].وكذا عَرَّفَتْ بحال زوجها الشيخ المسن فأشارت إليه قائلة ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾هود: ٧٢ أي كبيراً لا يولد لمثله، وكما يظهر من السياق أنَّ قصة إبراهيم عليه السلام جاءت مقدمة لقصة لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود:٧٠،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:٩/ ٦٥-٦٦، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٤/ ٢٣٥ بتصرف

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٤/ ٢٣٦

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا:١٢/ ١٢٩

يجادل الملائكة في شأن قوم لوط، وقد وصفه الله بأنَّه حليم أواه منيب، فإذا جمعت هذه الصفات التي جمعها الله لخليله عليه السلام إلى ما سبق من الصفات نجد أنَّ إبراهيم عليه السلام جمع من الصفات ما لم يجتمع لغيره.

ثم تأتي سورة الحجر: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ الحجر: ٥١ – ٥٧ ، تذكر قصة إبراهيم بعد قصة آدم، وهي مبدوءة بأمرٍ إلى النبي محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الحجر: ٤٩ – ٥١، والقصة تحدثنا عما كان بين إبراهيم والملائكة عليهم السلام؛ فتحدثنا عن ضيف إبراهيم وقت دخولهم عليه محيين مسلِّمين؛ وقد طوي ذكر رده السلام عليهم إيجازاً لظهوره[1]؛ ولكن إبراهيم عليه السلام يجد في نفسه منهم مقدمات الخوف، وهو الوجل، فيؤانسونه بأن لا داعي لهذا الوجل، فنحن نبشرك بغلام عليم، ونلاحظ هنا أنَّ الله عز وجل بَيَّنَ موقف إبراهيم عليه السلام من هذه البشارة، بخلاف سورة الذاريات فلم يأت التفصيل، ويستفهم –هنا– إبراهيم عليه السلام متعجباً ما هذا الذي تقولون وقد مسني الكبر؛ فبأي شيء تبشرون؟!، فيجيبون بأن هذا هو الحق فلا

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٣/ ٤٦

تستغرب، وتكن من القانطين، فيرد هذه الصفة عن نفسه بقوله: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾الحجر:٥٦، وهو استفهام إنكار في معنى النفي، وأنَّه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله؛ ولكنَّه امتلكه المعتاد فتعجب، ومتحققاً للوعد، فصار ذلك كالذهول عن المعلوم فلما نُبِّه تذكر[١]. والمتأمل للآيات الكريمة يجد الجدة وعدم التكرار؛ وإنما في الآيات زيادة معان وبيان ليس فيما سبق.

فأولاً: يسميهم ضيفاً، ثانياً: يطوي فيها ذكر الطعام وما يتصل به، ثالثاً: يطوي فيه ذكر المرأة، رابعاً: يشعرهم إبراهيم هنا بوجله، وهو مقدمات الخوف، وفيما سبق "أوجس منهم خيفة"، خامساً: يوصف الغلام بأنَّه عليم، سادساً: الصورة المعبرة في عبارة "مسني الكبر"، سابعاً: زيادة بيان نفي صفة القنوط عن إبراهيم ﷺ، ثامناً: أنَّ هذه الصفة "القنوط" لا يتصف بها إلا الضالون، وهو من المهتدين ﷺ[٢].

ثم تأتي سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير:٢/ ٦٧٤، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٤/ ٥٨-٦٠

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم ﷺ، الشحات محمد:١٠٣

بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ٧٤ – ٩٠ ، عطف على الجمل السابقة التي أولها: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ الأنعام: ٦٦، المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعقب تلك

الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجة الدامغة والناظرة الساطعة[١]، وإن كانت في الحديث عن إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه، إلا أنَّ هذا المقطع يختلف عن سابقه فهنا ذكرت قصة إبراهيم من الجهة التي يعالجها موضوع السورة، وهو إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ورَدُّ الشبهات بالحجج الدامغة، كان قومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، فَبَيَّنَت هذه الآيات يقين إبراهيم عليه السلام وما أوتي من بصيرة نافذة وقوة في الحجة، قال ذلك على سبيل المجادلة لقومه وإرخاء العنان لهم؛ ليصلوا إلى تلقي الحجة ولا ينفروا من أول وهلة[٢]، فبدأ أولاً في الترقي وهو ينفي الألوهية عن الكواكب بدءاً ببعض النجوم ثم القمر ثم الشمس، وهذا دليل الرشد وحسن الاستدلال، ثم يستدل بالأُفول على عدم أهلية هذه الكواكب التي كان يؤلهها قومه، فقال ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ الأنعام: ٧٦، وأنَّ وراءها محدثاً وصانعاً، ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، وبعد إبطاله لأكبرها وهي الشمس أعلن براءته منها وصدع بعبودية الله عز وجل. ثم بَيَّنَ ما أكرم به نبيه من أنَّه جعل الأنبياء من ذريته، وجعله هو من ذرية نوح عليه السلام.

وقد صَرَّحَ هنا باسم والده ولم يذكر هذا الاسم في غير هذه الآية،

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:٦/ ١٦٩

(٢) المصدر السابق:٦/ ١٧٧

وبهذا يكون ذكر اسمه حكاية لخطاب إبراهيم إياه خطاب غلظة، فذلك مقتضى ذكر اسمه العلم.

والظاهر أنَّ المحكي في هذه الآية موقف من مواقف إبراهيم مع أبيه، وهو موقف غلظة، فيتعين أنَّه كان عندما أظهر أبوه تصلباً في الشرك. ويقتضي أن يرى مماثليه في ضلال أيضاً؛ لأنَّ المقام مقام صراحة لا يكتفي فيه بدلالة الالتزام[1]؛ ولينبئه من أول وهلة على أنَّ موافقة جمع عظيم إياه على ضلاله لا تعضد دينه ولا تشكك من ينكر عليه ما هو فيه، ومباشرته إياه بهذا القول الغليظ كانت في بعض مجادلاته لأبيه بعد أن تقدم له بالدعوة بالرفق، كما حكى الله عنه في موضع آخر: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾مريم:٤٢ –٤٧. فلما رأى تصميمه على الكفر سلك معه الغلظة استقصاء لأساليب الموعظة لعل بعضها أن يكون أنجع في نفس أبيه من بعض فإنَّ للنفوس مسالك ولمجال

---

(١) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على خارجٍ عن مسماه لازم له لزوماً ذهنياً أو خارجياً. كدلالة لفظ السقف على الجدار؛ فإنه لا وجود للسقف إذا لم يكن هنالك جدار. انظر المحصول في أصول الفقه، الرازي:١/ ٢١٩، آداب البحث والمناظرة، محمد الشنقيطي :١/ ١٣، معجم مصطلحات أصول الفقه، مصطفى سانو:٢٠٢

أنظارها ميادين متفاوتة[١].

وفي سورة الصافات، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ الصافات: ٨٣-١١٣ ، تَخْلُصُ هذه الآيات إلى حكاية موقف إبراهيم عليه السلام من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيده الله ونجاه منهم، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح؛ ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الثناء على نوح وابتداء الثناء على إبراهيم؛ وتخليد منقبة لنوح إن كان

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:٦/ ١٧٢-١٧٣

إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به، وكذلك جمع محامد إبراهيم في كلمة كونه من شيعة نوح المقتضي مشاركته له في صفاته، كان الحديث عن إبراهيم عليه السلام بعد الحديث عن نوح عليه السلام؛ فقوله: ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾ الصافات: ٨٥ ، استفهام إنكاري على أن تعبدوا ما يعبدونه؛ ولذلك اتبعه باستفهام آخر إنكاري وهو ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الصافات: ٨٦ ، وهذا الذي اقتضى الإتيان باسم الإشارة بعد "ما" الاستفهامية الذي هو مشرب معنى الموصول المشار إليه؛ فاقتضى أنَّ ما يعبدونه مشاهد لإبراهيم فانصرف الاستفهام بذلك إلى معنى دون الحقيقي وهو معنى الإنكار، بخلاف قوله: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ الشعراء: ٧٠ ؛ فإنَّه استفهام على معبوداتهم ولذلك أجابوا عنه: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ الشعراء: ٧١ ، وإنما أراد بالاستفهام هنالك التمهيد للمحاجة؛ فصوره في صورة الاستفهام لسماع جوابهم فينتقل إلى إبطاله، كما هو ظاهر من ترتيب حجاجه هنالك، فذلك حكاية لقول إبراهيم في ابتداء دعوته قومه، وأما ما هنا فحكاية لبعض أقواله في إعادة الدعوة وتأكيدها[1]. وقد أنكر على أبيه وقومه ما يعبدون، وكل هذه الآلهة التي يدعونها من دون الله؛ وتحدث عن يقظة إبراهيم عليه السلام ورجاحة عقله وشدة حرصه على دينه، فأخبرهم أنَّه به سقماً يمنعه من أن يشاركهم مسيرتهم، فأدبروا إلى حيث يريدون، وهنا رأى إبراهيم عليه السلام أنَّ الفرصة قد سنحت، وبكل قوة يأخذ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٣/ ٥٣

بتحطيم الأصنام، ويأتي القوم ليروا ما حلَّ بأصنامهم فَيُقْبِلُون مسرعين إلى إبراهيم؛ ولكنَّ إبراهيم عليه السلام يباغتهم فيلزمهم الحجة، فكيف يعبدون هذه الأصنام التي ينحتونها هم بأيديهم مع أنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي خلقهم وخلق كل ما يعملون؛ فلما لزمتهم الحجة ورأوا أنَّهم بعيدون عن الحجة لجأوا إلى القوة والبطش، فتواصوا ببنيان يبنونه، وكيد لإبراهيم يريدونه؛ فليسعِّروا ذلك البنيان بالنار حتى تصير جحيماً، فيلقوا فيها إبراهيم عليه السلام؛ ولكنَّ الله عز وجل يبطل كيدهم، ولم يُصب إبراهيم عليه السلام بسوء. ويسأل إبراهيم ربه أن يهب له من الصالحين ذرية طيبة؛ فيستجيب الله دعاءه ويبشره بغلام حليم ولا عجب فالحلم صفة إبراهيم عليه السلام كذلك، ويولد هذا الغلام ويشتد عوده حينما يبلغ مبلغاً يمكنه من أن يسعى مع أبيه في قضاء حوائجه، وحينما أخبر إبراهيم ابنه أنَّه رأى في المنام أنَّه يذبحه، فما كان من الابن إلا أن يعلن لأبيه بأن يفعل ما يؤمر به وسيجده إن شاء الله صابراً، فتحدثنا القصة عن حلم الولد من جهة، وحلم الأب من جهة أخرى، فيبتلى الأب بذبح ابنه؛ فيتغلب على كل عاطفة، وكيف تطيب نفس الابن المذبوح بما يريده أبوه فيذعن لهذا الحكم بكل رضى ومحبة من غير تردد، ويسلم كل من الأب والابن لله خاضعين، وينادى إبراهيم عليه السلام بعد أن تلَّ ولده للجبين قد صَدَّقْتَ الرؤيا ويجازى بإحسانه على هذا الابتلاء العظيم، ويكرم إبراهيم عليه السلام بالفداء، ويفدى الابن البار بكبش يذبحه الأب مكانه، وهذا امتحان للخضوع والإيمان ونفي الخلة لغير الله عز وجل. ولم يصدر قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١١٠ بـ"أنا" كما في غيرها من القصص، وكما في

الآيات السابقة في هذا المقطع، للاكتفاء بالتأكيد في الآية السابقة عن التأكيد هنا، والمُجْزَى في الآيتين إبراهيم عليه السلام؛ وللإشارة إلى أنَّ قصة إبراهيم عليه السلام لم تنته بعد، فقوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ الصافات: ١١٢ إلخ من تكملتها[١]. وللمغايرة بين النظم في القصة الواحدة[٢]. ويبشره الله عز وجل بولد آخر هو إسحاق نبياً ويبارك عليهما، وأنَّ من ذريتهما المحسن والظالم لنفسه.

ثم جاءت بعد ذلك سورة الزخرف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الزخرف:٢٦ -٢٨،لمَّاذكَّرهم الله بالأمم الماضية وشبَّه حالهم بحالهم ساق لهم أمثالاً في ذلك من مواقف الرسل مع أممهم منها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه[٣]، وفيها إشارة موجزة متلائمة مع موضوع السورة، وسورة الزخرف إحدى الحواميم؛ والمتأمل في موضوعها يجد أنها تضيِّق على المشركين كل مسربٍ يمكن أن يسيروا فيه جَدِلِينَ خَصِمِين؛ فهي تَرُدُّ على شبهاتهم وتبطل ما ادَّعوه من تقليد الآباء، وبعد مناقشتهم فيما ادَّعوه من جعل الملائكة بنات الله، وعبادتهم لها، مدَّعين أنَّ تلك مشيئة الله، قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾الزخرف:

(١) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود:٧/ ٢٠٢، روح المعاني، محمود الألوسي:١٢/ ١٣٢

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:١٠٩

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:٢٥/ ١٩١

٢٠، فَيَرُدُّ الله عليهم بأنه لا مستند لهم نقلي ولا عقلي ، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾الزخرف: ٢٠ ،وهذانفي للحجة العقلية، فهو خرص وكذب وظن، ثم يقول الله: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾الزخرف: ٢١ ، وهذا نفي للحجة النقلية أن يكون عندهم كتاب؛ وإنما جاءوا بذلك من تقليد الآباء المذموم ، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾الزخرف:٢٢ ، ثم تأتي الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام ، لتبين لهم إن كنتم صادقين في الانتساب إلى إبراهيم فقد تبرأ من أبيه وقومه، وهو من آبائكم فلِمَا لم تتبعوه، وتتبعون ما كان من الآباء باطلاً. وَخُصَّ أبو إبراهيم بالذكر قبل ذكر قومه وما هو إلا واحد منهم اهتماما بذكره؛ لأنَّ براءة إبراهيم مما يعبد أبوه أَدَلُّ على تجنب عبادة الأصنام بحيث لا يتسامح فيها ولو كان الذي يعبدها أقرب الناس إلى موحد الله بالعبادة مثل الأب؛ ولتكون حكاية كلام إبراهيم قدوة لإبطال قول المشركين: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾الزخرف: ٢٢ [١]. وزاد جل وعلا في سورة الممتحنة براءته أيضاً من العابدين، وعداوته لهم، وبغضه لهم في الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤ [٢].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:٢٥/ ٢٣٧-٢٣٨

(٢) أضواء البيان، محمد الشنقيطي:٧/ ١٠١

ثم تأتي سورة الذاريات، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الذاريات: ٢٤ –٣٠، توعد الله ﷻ المكذبين بالعذاب، وما ذكر فيها من قصة إبراهيم فهي كالتوطئة لذكر العذاب الذي حلَّ بقوم لوط عليه السلام، وإن كان الجانب الذي تناولته السورة قد تقدم في سورتي هود والحجر إلا أننا مع ذلك نجد أن لكل واحدة لوناً خاصاً بها وهدفا يبعد شبهة التكرار في القصتين، وإن كان هناك تشابها في بعض الأحداث، بدأت القصة في سورة هود بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ﴾ هود: ٦٩ ،وفي سورة الحجر ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الحجر: ٥١ ؛ لكن هنا بدأت بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات: ٢٤ ، انتقال بالنبي ﷺ من الجو الذي يعيش فيه مع قومه، وما يفوح منهم من ريح خبيثة، محملة بإفرازات كفرهم وضلالهم، ففي الاستفهام دعوة للنبي الكريم من ربه، إلى أن يخرج من هذا الجو الفاسد، وأن يملأ صدره بشذا هذه الريح الطيبة التي تهب عليه من ذكرى نبي كريم، هو إبراهيم عليه السلام، وما كان له عند الله من فضل وإحسان[1]، فكان تسلية له ﷺ، والتعبير هنا

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١/ ٩٩

بأنهم ضيوف مكرمون، ثم إنَّ إبراهيم عليه السلام قد أنكرهم ، وسواء كان هذا الإنكار من حيث هيئاتهم أم من حيث تحيتهم، إلا أنَّ إبراهيم عليه السلام مع ذلك أسرع في خفية عنهم، فجاءهم بعجل سمين[١]، وَبَيَّنَ في موضع أنَّه تعجل القِرَى لقوله: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ﴾هود:٦٩، ولما قربه إليهم أنكر عليهم مرة أخرى عدم أكلهم، فأوجس منهم خيفة فبشروه بغلام عليم، فأقبلت امرأته في صيحة تضرب وجهها لغرابة ما سمعت، كيف وهي عجوز عقيم؟! فأجابوها بأنَّ هذا قضاء الله الحكيم العليم. ومما ذكر في سورة الذاريات ولم يذكر في سورة هود والحجر، مع أن فيهما الكثير مما لم يذكر في سورة الذاريات، ومما ذكر هنا الخوف وهو غير الوجل، وفي سورة هود كان العجب من امرأة إبراهيم ولكنَّها عبرت عن ذلك بما أخبرت به من قول، وتحدثت به من كلام؛ أما في سورة الحجر فلم يرد لامرأة إبراهيم ذكر، وإنما كان العجب من إبراهيم عليه السلام، وفي هذه السورة بَيَّنَت لنا كيف عبرت المرأة عما في نفسها حينما أقبلت في صرة فصكت وجهها، فهنا ذكرت حركات التعجب، وفي آية هود ذكر لفظ التعجب؛ لتكتمل الصورة بكل ما فيها، ويكون ذلك أبلغ في التعبير. وكذا في تقديم البشارة وتأخيرها في القصة ثم ذهاب الخوف ثم مجادلة إبراهيم عليه السلام الملائكة في قوم لوط؛ فلأنَّ السياق يتطلب تقديم الهدف الذي يحرص السياق على إبرازه وجعله المحور الذي من أجله قدم هذا وأخر هذا لمناسبته تقوية للدلالة على المراد،

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٧/ ٢٥، خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ١٥٤-١٥٥

وفي قوله: ﴿ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ هود: ٧٤، لم يُبيِّن هنا ما جادل به إبراهيم الملائكة في قوم لوط، ولكنَّه أشار إليه في العنكبوت بقوله ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ... ﴾ العنكبوت: ٣١ – ٣٣[١].

ثم تأتي سورة النحل، وتسمى بسورة النعم، ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ النحل: ١٢٠ – ١٢٤، وجاءت الإشارات فيها عن إبراهيم عليه السلام متفقة مع موضوع السورة، لِيُبيِّنَ شكر إبراهيم عليه السلام لما أنعم الله عليه، فزاده وأدام عليه نعمه. والمقصود أنَّهم كانوا في الجاهلية ثم اتبعوا الإسلام، فبعد أن بشرهم بأنَّه غفر لهم ما عملوه من قبل زادهم فضلا ببيان فضل الدين الذي اتبعوه. وجعل الثناء على إبراهيم عليه السلام مقدمة لذلك؛ لبيان أنَّ فضل الإسلام فضل زائد على جميع الأديان بأنَّ مبدأه برسول ومنتهاه رسول، وهذا فضل لم يحظ به دين آخر[٢]. وفيه تعريض باليهود الذين خرجوا على شريعة أبيهم إبراهيم خروجاً صارخاً، فكفروا بأنعم

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ٢/ ١٨٧

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٣/ ٢٥٣

الله، ومكروا بآياته، وكذبوا رسله، وتنكبوا طريق الحق، وركبوا طُرُقَ الضلال[١]. وقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بتسع صفات هي:

١. أنَّه كان أمة، أي كان وحده أمة من الأمم؛ لكماله في صفات الخير. وأنَّه الإمام الذي يقتدى به.

٢. كونه قانتاً لله، أي خاشعاً مطيعاً لله قائما بأمره.

٣. كونه حنيفاً، أي مائلا عن الشرك والباطل قصداً إلى التوحيد.

٤. أنَّه ما كان من المشركين؛ بل كان من الموحدين في الصغر والكبر، فهو الذي قال لملك زمانه ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨، وهو الذي أبطل عبادة الأصنام والكواكب بقوله ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦ ، ثم كسر الأصنام حتى ألقوه في النار.

٥. شاكراً لأنعم الله عليه، والأنعام وإن كان جمع قلة إلا أنَّ المراد به أنَّه كان شاكرا لجميع نعم الله إن كانت قليلة، فبالأولى الكثيرة، وهذا كما قال تعالى ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ النجم: ٣٧ ، أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به. وهذا تعريض بكل من جحد بأنعم الله مثل قريش وغيرهم.

٦. أنَّه اجتباه ربه، أي اختاره واصطفاه للنبوة.

٧. أنَّه هداه إلى صراط مستقيم، أي في الدعوة إلى الله والترغيب في الدين الحق، والتنفير عن الدين الباطل.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١/ ٣٢٦

٨. وآتاه الله في الدنيا حسنة.

٩. وأنَّه في الآخرة لمن الصالحين، أي في زمرتهم.

وبعد تعداد هذه الصفات العالية لإبراهيم عليه السلام، أمر الله نبيه ﷺ باتباعه[١].

ثم تأتي سورة إبراهيم عليه السلام، وهي موضوع البحث كما سيأتي مفصلاً.

ثم تأتي سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ١٤/ ٢٧٠-٢٧٢

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١ – ٧٣ ، ذُكِرَت قصة إبراهيم عليه السلام بعد الحديث عن موسى عليه السلام، وتبدأ القصة بما أكرم الله به إبراهيم عليه السلام من الرشد، "وفي إسناد الإيتاء إلى ضمير الجلالة للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيه. والرشد: الهدى والرأي الحق، وضده: الغي، وزاد تنويهاً وتفخيماً تذييله بالجملة المعترضة قوله تعالى ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ : أي آتيناه رشداً عظيماً على علم منا بإبراهيم، بكونه أهلا لذلك الرشد، وعلم من سريرته صفات قد رضيها وأحمدها فاستأهل بها اتخاذه خليلاً"[1]، وهي كلمة جامعة تدل على سلامة العقيدة والسلوك الخَيِّر، إنها تَدُلُّ على التوفيق في العلم والعمل، وصدق الظاهر والباطن. والقصة تحدثنا عن محاورة إبراهيم عليه السلام مع قومه، فيأتي التساؤل من إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ الأنبياء: ٥٢ ، يستنكر عكوفهم ولزومهم لهذه التماثيل. وفي هذه التسمية ما يدل على حقارة شأنها؛ لأنَّ التماثيل ما هي إلا أشكال صنعت لتشبه صوراً مخصوصة. وهذا كاف في ضآلتها وكونها غير مستحقة لهذا العكوف، ولا يجد القوم ما يجيبون به عن أحقية هذه التماثيل بعبادتهم وعكوفهم؛ ولكنَّهم يتهربون من الإجابة مُدَّعين أنَّهم إنما قلدوا في عبادتها، والعكوف لها آباءهم دون أن يكون لهم نظر مستقل في شأنها. ويجيبهم عليه السلام أنَّهم هم وآباؤهم

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٧/ ٦٨

مستغرقون في الضلال، منغمسون فيه؛ وكأنَّه يُبَيِّن لهم أنَّ الباطل لا يمكن أن يصير حقاً مهما كثر أتباعه وتعدد أنصاره، ويردون عليه متجاهلين الحديث عن هذه الأصنام والتماثيل، متسائلين: تُرى أجئتنا بالحق أم أنت لا تزالُ منغمساً في لهوك ولعبك، ويجيبهم عليه السلام جواب الداعية الواثق من دعوته الذي لا ينتقم لنفسه، مبلغاً رسالة ربه، بأنَّ ربهم الذي ربَّاهم وأنعم عليهم حري به أن يُعْبَدَ وهو رب السماوات والأرض، وأنَّ هذه عقيدته وهذا هو دينه وهو على ذلك من الشاهدين. وقرر بعد قَسَمِهِ أن يدبر أمراً لأصنامهم بعد أن يذهبوا للهوهم ولعبهم في عيدهم، وقد برَّ بِقَسَمِهِ فحطَّم الأصنام وجعلها جذاذاً وقطعها قطعاً؛ وأبقى كبير هذه الأصنام دون أذى ليرجعوا إليه بعد مجيئهم من عيدهم؛ فتساءلوا من الذي فعل بآلهتهم هذا الفعل، ويقول بعضهم الذين سمعوا ذلك الفتى يذكر أصنامهم بسوء وهو ذلك الذي يقال له: إبراهيم، ويقررون أن يأتوا بإبراهيم عليه السلام أمام جموعهم وعلى أعينهم، ويقرر بما فعل: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ الأنبياء: ٦٢. فَرَدَّ: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٣، وهذا ليس كذباً في حقيقته وإنما هو من باب التعريض والتورية، فليسألوه إن كان يستطيع جواباً، فيرجعون إلى أنفسهم ويقروا بأنَّهم على باطل ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٤، كيف تعبدون هذه الأصنام التي لا تستطيع أن تدفع عن نفسها سوءاً ولا ترد ضُرّا، ثم يرجعون إلى غيهم فَيَنْكِسُون على رؤوسهم يطرقونها خجلين مفكرين، كيف نسألهم وأنت تعلم أنَّهم لا يستطيعون نطقاً ولا يحيرون جواباً،

فيلزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة فتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً ولا ضراً، إنَّ ذلك يدعو إلى التضجر والتأفف منكم ومما تعبدون، ألا تستعملوا عقولكم، ولما لم يجد القوم ما يدافعون به عن ضلالهم وليس لهم حجة، هرعوا إلى القوة ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾ الأنبياء: ٦٨ ، فتأتي المعجزة من الله عز وجل ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ الأنبياء: ٦٩. ونجى اللهُ إبراهيمَ ولوطاً عليهما السلام ووهب إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، ولقد أشير إلى هذه القصة في سورة الصافات كما مَرَّ سابقاً؛ ولكن كانت إشارة مجملة بخلاف التفصيل في هذه السورة لا من جهة الموضوع أو دقة التعبير ومن حيث بعض المفردات كذلك، فلكل قصة نسقها والتكرار منتفي[(١)]، وهذا العمل الذي عمله إبراهيم عمله بعد أن جادل أباه وقومه في عبادة الأصنام والكواكب ورأى جماحهم عن الحجة الواضحة كما ذكر في سورة الأنعام[(٢)].

ثم تأتي سورة الحج، وهي مختلف في مكيتها ومدنيتها، فجمهور المفسرين على أنَّها مكية إلا بضع آياتٍ قيل: بأنَّها مدنية[(٣)]، حدثتنا السورة أنَّ الله أكرم إبراهيم فبوأ له مكان البيت، وأمره أن يعبده وحده، وأن يطهر

---

(١) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:١٦٣ ، التفسير المنير، وهبة الزحيلي:١٧/ ٧٢

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٧/ ٧٢

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب:٧/ ٤٨٣٣، معالم التنزيل، الحسين البغوي:٣/ ٣٢٢، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي:١٤/ ٣

بيته للطائفين والقائمين والركع السجود، وأن يؤذن في الناس بالحج. هذه الإشارة التي اكتفت بها سورة الحج ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج:٢٦ –٢٧،وهي عطف على جملة ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ الحج: ٢٥ ، "عطف قصة على قصة، ويعلم منها تعليل الجملة المعطوفة عليها بأنَّ الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراده الله من تطهيره حين أمر ببنائه، والتخلص من ذلك إلى إثبات ظلم المشركين وكفرانهم نعمة الله في إقامة المسجد الحرام وتشريع الحج"[1].

ثم تأتي سورة العنكبوت، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٧/ ١٧٤، التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي:٩/ ٢٩٨

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ العنكبوت: ١٦ -٢٧، وهي آخر السورة المكية التي تحدثت عن إبراهيم (عليه السلام)، "فانتقل من خبر نوح إلى خبر إبراهيم عليهما السلام لمناسبة إنجاء إبراهيم من النار كإنجاء نوح من الماء"[١]، وكان الحديث فيها عمّا كان بينه وبين قومه، "ودعوة إبراهيم (عليه السلام) لقومه كانت قائمة على أمرين هما دعوة جميع الرسل الكرام عليهم السلام وهما: الدعوة لعبادة الله وحده سبحانه، والدعوة لتقوى الله سبحانه"[٢]. والجانب الآخر عن مجيء الرسل من الملائكة، وهو متناسب مع موضوع السورة؛ إذ تُبَيِّن ما تَحَمَّلَه الأنبياء وما ينبغي أن يَتَحَمَّلَه الدعاة ورثتهم تُبَيِّنُ النتائج الطيبة التي يكرم الله بها الأنبياء قدوة العلماء. "ومن المحاجة إقام إبراهيم (عليه السلام) دليلاً على الرسالة بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ العنكبوت: ١٨، وبعد بيان الأصل الأول والاستدلال

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٠/ ١٥٠

(٢) آيات التقوى في القرآن الكريم، حسين الجبوري: ١/ ١٢١

عليه وهو التوحيد، والإشارة إلى الأصل الثاني وهو الرسالة، شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر أو البعث والنشور، وهذه الأصول الثلاثة متلازمة لا يكاد ينفصل ذكر بعضها عن بعض في البيان الإلهي"[1].

هذا هو ما ذكره الله ﷻ في كتابه مما جاء في السور المكية عن إبراهيم عليه السلام.

وأما السور المدنية ففي مجملها تشمل موضوعات ثلاثة:

الأول: بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق، وما يتصل بذلك من دعواته لهذه الأمة.

الثاني: تبرئته عليه السلام من أن يكون يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً.

الثالث: براءته عليه السلام صراحة من أبيه، بعد أن تبين أنَّه عدو لله ﷻ.

ونجد أنَّ هذه الموضوعات الثلاثة تقتضيها طبيعة العهد المدني؛ لأنَّها ذات صلة مباشرة بما كان بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الكتاب؛ كما أنَّها ذات صلة مباشرة بتحويل القبلة، وهي كذلك ذات صلة مباشرة بالتأكيد على نوع العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين وبين أقربائهم وذويهم إذا اختار أولئك الأقرباء الكفر على الإيمان، ومع هذا كله نجد أنَّ شائبة التكرار منتفية انتفاءً تاماً.

سورة البقرة، فأمَّا الحديث عن البيت ورفعه والدعاء لأهله فهو موضوع البحث كما سيأتي مفصلاً، وقد جاء في سورة البقرة إشارة إلى قضيتين:

الأولى: الملك الذي حَاجَّ إبراهيم عليه السلام في ربه، وكان حرياً به أن يشكر

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ٢٠/ ٢٢١

نعم الله لا أن يكفر؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٨ ، قيل: إنه النمرود، فقال له إبراهيم ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨ فأجاب: ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨ ، فارتقى إبراهيم عليه السلام إلى ما هو أعلى مقاماً فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ البقرة: ٢٥٨ .

الثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ .

وفي هذه الآية نُبيِّن ما يلي:

أولاً: لا يفهم من هذا أنَّ إبراهيم عليه السلام كان شاكاً، فأراد أن يذهب هذا الشك، فأسلوب الآية لا يدل على ذلك ، فإبراهيم عليه السلام يطلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، ويقول ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ البقرة: ٢٦٠ وهو سبحانه يعلم إيمانه، ويقول إبراهيم عليه السلام ﴿بَلَىٰ ﴾ البقرة: ٢٦٠، وهذه الكلمة تدل على الإيجاب، أي: "بلى قد آمنت" ولكن ليطمئن قلبي.

ثانياً: أنَّ طمأنينة القلب لا تعني الشك والارتياب، وقد جاءت بعض الآيات التي ذكرت فيها الطمأنينة والمخاطبين لم يكونوا شاكين،

كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ آل عمران: ١٢٦ ، وهذا خطاب للرسول ﷺ وللمؤمنين الصادقين.

ثالثاً: أنَّ درجات العلم ثلاثة "علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين"، والذي طلبه إبراهيم عليه السلام أن يرى هذا الدليل معاينة؛ فليس من رأى كمن سمع.

رابعاً: أنَّ النبي ﷺ نفى الشك عن إبراهيم عليه السلام، فقال ﷺ: (نحن أحق بالشك من إبراهيم)[١] .[٢]

ثم تأتي سورة آل عمران، وقد جاء فيها الإشارة إلى قضيتين:

الأولى: خطاب لليهود والنصارى في منازعتهم ومجادلتهم في إبراهيم عليه السلام؛ حيث يدعي كل منهم أنه عليه السلام كان على دينه؛ فرد الله عليهم ونبه على حماقتهم، وأن أقرب الناس وأخصهم بإبراهيم عليه السلام الذين اتبعوه[٣]؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ٦٥ – ٦٨

---

(١) سبق تخريجه :١

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:٤٣٧-٤٤٨ بتصرف

(٣) روح المعاني، محمد الألوسي:٢/ ١٨٧-١٨٨ بتصرف

الثانية: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ آل عمران: ٩٦ – ٩٧ جاءت بإشارة موجزة عن أنَّ أول بيت وضع للناس لهو هذا البيت العتيق الذي ببكة مباركاً، وهدى للعالمين، فيه آيات بَيِّنَات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً.

ثم تأتي سورة الممتحنة، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الممتحنة: ٤ –٥، وهي التي نهي فيها المؤمنون أن يتخذوا عدو الله وعدوهم أولياء وللسورة سببها وهو ما جرى قبيل فتح مكة من أحد الصحابة رضي الله عنهم، ويأتي ذكر إبراهيم في هذا المقام متسقاً مع ما جاءت السورة من أجله. "والتأسي هنا في ثلاثة أمور:

أولاً: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله.

ثانياً: الكفر بهم.

ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا

آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم"[1].

ثم تأتي سورة براءة، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾ التوبة: ١١٣ – ١١٤، وهي السورة التي ذكر فيها المنافقون، وما كان من استغفار المؤمنين والنبي ﷺ لهم ، فتذكر السورة نبأ إبراهيم عليه السلام، ونجد ما جاء في سورة براءة ليس هو ما جاء في سورة مريم ولا ما جاء في سورة الممتحنة؛ لأنَّ سورة مريم والممتحنة تُبيِّن "أنَّ إبراهيم عليه السلام وعد أباه بالاستغفار؛ ولكن سورة براءة بيَّنت أنَّه تبرأ منه بعد أن تبين له عداوته لله عز وجل"[2].

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي:٨/ ٨٥

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٠/ ٢١٤-٢١٥

المبحث الثاني

علاقة قصة إبراهيم عليه السلام بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم

إن سياق القصص في القرآن بهذا التناسق بينه وبين الموضوع الذي يساق فيه، ويستشهد بالقصة عليه؛ والتناسب بين أهداف القصة والسياق في السورة الواحدة؛ ليشهد بعلاقة وثيقة بين القصة ومقصود السورة وأهدافها.

ويحسن في أول العرض أن نتحدث عن علاقة كل مقطع وسياق نظمه وإدراجه في السورة التي ذكر فيها، بعد ذكر الآيات؛ فنقول:

سورة البقرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤ – ١٣٣

"لما استقصى سبحانه وتعالى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا المقطع بما بدأ به وهو قوله ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٤٧ – ٤٨ ، شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله، والحكمة فيه أنَّ إبراهيم عليه السلام رسول يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله؛ متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه.

وبيانه من وجوه:

أحدها: أنَّه تعالى لما أمره ببعض التكاليف؛ فوفى بها وخرج عن عهدتها؛ لا جرم نال النبوة والإمامة وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد

والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

ثانيا: أَنَّه تعالى حكى عنه أَنَّه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤ ، فَدَلَّ ذلك على أنَّ منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب الباطل.

ثالثا: أنَّ الحجج من خصائص دين محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

رابعا: أنَّ القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى، فَبَيَّنَ الله تعالى أنَّ هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بتعظيمه ووجوب الاقتداء به فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم.

خامسا: أنَّ من المفسرين من فَسَّرَ الكلمات التي ابتلى الله تعالى إبراهيم بها بأمور يرجع حاصلها إلى تنظيف البدن وذلك مما يوجب على المشركين اختيار هذه الطريقة؛ لأنَّهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم عليه السلام، ويوجب عليهم ترك ما كانوا عليه من التلطخ بالدماء وترك النظافة.

ومن المفسرين من فَسَّرَ تلك الكلمات بأنَّ إبراهيم عليه السلام صبر على ما ابتلى به في دين الله تعالى وهو النظر في الكواكب والقمر والشمس ومناظرة عبدة الأوثان، ثم الانقياد لأحكام الله تعالى في ذبح الولد والإلقاء في النار وهذا يوجب على هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين الذين يعترفون

بفضله أن يتشبهوا به في ذلك ويسلكوا طريقته في ترك الحسد والحمية وكراهة الانقياد لمحمد ﷺ، فهذه الوجوه –وغيرها– التي لأجلها ذكر الله ﷻ قصة إبراهيم عليه السلام.

وما ذكر عن إبراهيم عليه السلام أمور يرجع بعضها إلى الأمور الشاقة التي كلفه بها ، وبعضها يرجع إلى التشريفات العظيمة التي خصه الله بها"[1].

سورة إبراهيم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥ – ٤١

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى كثيراً من النعم ، وَبَيَّنَ أَنَّ نعمه لا تحصى، وأنَّ الإنسان ظلوم كفار بقوله: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم: ٣٤،

---

(١) التفسير الكبير، الرازي: ٤/ ٣٣-٣٤، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي: ١/ ٣٧٣

وذكر الله تعالى بالأدلة الحسية والسمعية انفراده بالألوهية وأن لا معبود إلا هو، ذكر هنا أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام في حصانته للتوحيد ومبالغته في هدم الشرك والأوثان، ثم ذكر موقف الظالمين يوم الدين وما يعتريهم من الذُّلِّ والهوان في يوم الحشر الأكبر.

"والآيات التي تسبقها تشتمل على تعجيب من أمر كفار مكة، الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وتذكر بآيات الله ودلائل قدرته ونعمه التي لا تحصى ومقابلة الناس لهم بالكفران والجحود؛ وتأتي عقبها هذه الآيات من قصة إبراهيم لتذكر هؤلاء بأبيهم إبراهيم الذي استقام على أمر الله تعالى، وأنكر عبادة الأوثان، وأعلن شكره وحمده وضراعته لله تعالى على ما أولاه من نعم، وما حباه من كرم، وفي تذكيرهم بهذه المشاهد حث لهم على الاقتداء بأبيهم الذي يفخرون بالانتساب إليه، ودعوة لهم إلى اتباع الرسول ﷺ، وشكر الله تعالى على النعم التي وهبها لهم وأولاهم إياها؛ ومنها نعمة البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، ورزقهم في رحابه من جميع الثمرات" [١].

(١) التفسير الكبير، الرازي:١٩/ ١٣١

المبحث الثالث

أغراض قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم

ليست القصة القرآنية عملا يقتصر القصد به على السرد والرواية؛ وغرضه المؤانسة وتجديد النشاط؛ وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر؛ بل هي وسيلة إلى تحقيق أغراض دينية وفوائد جمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها، فيسوقها في مظان الاتعاظ والاعتبار بها؛ وما توافر فيها من الفوائد[١].

أولاً: من أغراض سورة البقرة:

جاء في سورة البقرة اختبار إبراهيم عليه السلام، وخصائص البيت الحرام ، وفضائل مكة [٢].

وَبَيَّنَ بهذه المناسبة فضائل المسجد الحرام، وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى، والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأنَّ الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأنَّ اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأنَّ من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة ادَّخره الله للمسلمين آية على أنَّ الإسلام قائم على أساس الحنيفية، وذكر شعائر الله بمكة، وإبكات أهل الكتاب في

(١) قال أبو عبيد:" إن القصص التي قصها الله عن الأمم الماضية وما عاقبها به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين؛ إنما هو حديث حدَّث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحل بهم مثل ما حل بهم" الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:٤/ ١٩٦

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي:١/ ٣٠١

طعنهم على تحويل القبلة[١].

ففي معظمها تدور حول تعداد أمور جليلة كلف بها إبراهيم عليه السلام أو قام بها إثر التكليف، تعلو نبرة التذكير بهذه الأعمال عن طريق "إذ" الذي فيها تذكير بالوقت وما حدث فيه فبداية الآية الأولى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ البقرة: ١٢٤، والثانية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ البقرة: ١٢٥، والثالثة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ البقرة: ١٢٦ ، والرابعة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ البقرة: ١٢٧. ويأتي الدعاء فتعلو نبرة الخشوع والخضوع، ثم تعود نبرة التذكير وإن كانت أخف من السابق ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾البقرة: ١٣١، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ البقرة: ١٣٣[٢].

ثانياً: من أغراض سورة إبراهيم :

تظهر نبرة الدعاء في سورة إبراهيم ؛ وتعلوها نبرة الخشوع والخضوع والتضرع لله رب العالمين، فتبدأ كل آية فيها بنداء الرب سبحانه وتعالى، فالآية الأولى بعد البداية المذكرة بالوقائع ينادي إبراهيم ربه : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥، ويستمر في ترديد هذا النداء الخاشع المستجلب للإجابة إلى آخر الحلقة [٣].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١/ ٢٠٥

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٤٢٤

(٣) المرجع السابق

وفي هذه السورة إشارة صريحة إلى تناول موضوع الأصنام ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٣٥ – ٣٦ (١).

والقصة في سورة إبراهيم هي الحلقة الأولى من الحلقات التي تتصل بالبيت الحرام ودعاء إبراهيم فيه حسب ترتيب النزول، وهي تحكي آيات هذه الحلقة – كما ذكرت – جملة من دعاء إبراهيم عليه السلام، ولعل "ما حكى عنه عليه السلام من الأدعية والأذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي، ولا على وجه المعية؛ بل صدر عنه في أزمنة متفرقة حكى مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره في الملة، وإرشاد الناس إليها، والتضرع إلى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية" (٢).

وفيه تذكير للفريقين بحال إبراهيم عليه السلام ليعلم الفريقان من هو سالك سبيل إبراهيم عليه السلام ومن هو ناكب عنه من ساكني البلد الحرام، وتحذيرهم من كفران النعمة، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل، وتثبيت للنبي ﷺ (٣).

وإن كان بعضهم حاول ترتيب الأحداث والوقائع كما فعل أبو السعود، فقد حاول أن يرتب هذه الحوادث المحكية بناء على الظاهر، وَيُبَيِّنَ

(١) الجانب الفني في قصص القرآن، عمر باحاذق: ٣٦ . بتصرف

(٢) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٥/ ٥٤

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:٧/ ١٧٩ بتصرف يسير

سِرَّ الترتيب الذي وردت عليه في القرآن الكريم، فقال: واعلم أنَّ الظاهر ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه، ثم دعاء البلدية والأمن، وما يتعلق به، ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه، ثم جعله مثابة للناس، والأمر بتطهيره . ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية، لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل، ونظم الأمور الواقعة من جهة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – من الأفعال والأقوال في سلك آخر. وأما قوله تعالى :﴿وَمَن يَكْفُرْ ﴾ البقرة: ١٢١ إلخ ؛ فإنما وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بإبراهيم لاقتضاء المقام ، واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك ، بحيث لم يكن بد منه أصلاً ، كما أنَّ وقوع قوله عليه السلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ البقرة: ١٢٤، في خلال كلامه سبحانه لذلك [١].

(١) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:١/ ١٦١

المبحث الرابع
أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم

إن الله ﷻ ساق كل قصة، وما تكرر منها، آخذا بأشرف مواضيعها؛ فلا يؤثر تفرقها بين السور؛ فكل قصة في القرآن الكريم يراعى فيها المناسبة الموضوعية التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع ، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، في الأسلوب الذي صيغت فيه، ومن ذلك ما جاء في الموضعين –هنا– من قصة إبراهيم عليه السلام:

١. **الحوار بين الله ﷻ وإبراهيم عليه السلام:**

افتتحت القصة في السورتين بـ"إذ" الظرفية، المنصوب على المفعولية لفعل محذوف تقديره : اذكر[1].

ففي ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ البقرة: ١٢٤ ، حيث فصل بين قال وما قبلها؛ لأنها جاءت عن سؤال مقدر. والخطاب موجه إلى النبي ﷺ حيث أنزل القرآن عليه، فإبراهيم عليه السلام هو القدوة، سواء لأمة محمد ﷺ كما في سورة إبراهيم، أم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يدعون اقتداءهم بإبراهيم عليه السلام كما في سورة البقرة.

كلا الحوارين جاء بتكرار لفظ الربوبية "رب"، وفي إيثار الرب المشعر بتربيته والعناية به، مع إضافته إلى ضميره إيذان بإجابة دعاءه وتحقق

(١) المرجع السابق:١/ ٧٩

رجائه[١]. والإشارة إلى أن كل دعوة من هذه الدعوات مقصود بالذات، ومستقلة في مضمونها عن الدعوات الأخرى، وأنَّ الدعاء من لوازم الربوبية لذا يشمل المسلم والكافر. "وكل النداءات السابقة جاءت بلفظ "رب" أو "ربنا " حسب المقامات الواردة فيها، لما في ذلك من استجلاب للإجابة بما يتضمنه اللفظ من دلالة على أنَّ المدعو ﷻ وهو مربيه ، ومتولي أمره، ورحيم به ، ولن يَرُدَّ دعاءه ، أو يرجعه صفر اليدين"[٢].

تنوعت الجمل في القصتين بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، ومنها: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤ ، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ البقرة: ١٢٧ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ إبراهيم: ٣٦ ، ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ إبراهيم: ٣٧.

ومن الجمل الإنشائية : ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ البقرة: ١٢٦ ، ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ إبراهيم: ٣٥ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إبراهيم: ٤١ ، ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة: ١٢٥ ففي الآية الأخيرة جاءت على قراءة الأمر بكسر الخاء عند ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة و الكسائي، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء؛ على أنَّه فعل ماضٍ معطوف على جعلنا فيكون خبراً[٣] [٤].

---

(١) خصائص النظم القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:٣٤٥

(٢) المرجع السابق:٥٦٨.

(٣) كتاب السبعة في القراءات، أحمد ابن مجاهد:١٧٠، الحجة في القراءات السبع، الحسين بن خالوية:٨٧

(٤) أضواء البيان، محمد الشنقيطي : ٤/ ٤١٠.

وفي قراءة الأمر استحضارا لصورة المأمورين حاضرين والأمر يوجه إليهم، فهو تصوير للماضي بصورة الحاضر؛ ليقع في نفس المخاطبين بالقرآن أنَّ الأمر يتناولهم، وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم في عهد أبيهم إبراهيم[1].فجملة ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ البقرة: ١٢٥ ، إنشائية لفظا خبرية في المعنى[2].

٢. **دعاء إبراهيم** عليه السلام:

اتفق أسلوبا السورتين في الدعاء من خلال :حذف ياء النداء من "رب " وفي حذف النداء إشعار بقرب إبراهيم عليه السلام من ربه.

كما حذف ياء المتكلم في "ربي" تخفيفاً. وفي الدعاء جاء لفظ "الجعل" في عدة مواضع: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾إبراهيم: ٣٥، وقوله: ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾البقرة: ١٢٨، وفي سورة إبراهيم ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾إبراهيم: ٣٥، وقوله: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾إبراهيم: ٣٧ ،وقوله: ﴿ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾إبراهيم: ٤٠ [3].

والنعم التي سألها إبراهيم في هذه الآيات يظهر فيها معنى التحويل من حال إلى حال، والتصيير من شيء إلى شيء، ومن ثم ناسبها لفظ الجعل

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ١/ ٣٧٩.

(٢) مفتاح العلوم، يوسف السكاكي: ٢٦٠.

(٣) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام ، الشحات محمد: ٥٦١

لما يشعر به من تحويل و تصيير.

وقد جاء من دعائه في موضعين بلفظ التقبل، فقال في البقرة: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ ﴾ البقرة: ١٢٧، وفي إبراهيم قال: ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٤٠. والتقبل يشعر بما لا يُشعر به غيره من الاستجابة ونحوه، حيث يشير إلى أنَّ الدعاء عمل جليل مقدم من العبد إلى ربه، وهو يرجو منه أن يقبله.

وقد استهل دعاءه بأمرين لهما شأن عظيم في حياة الناس، أولهما: الأمن والطمأنينة، وثانيهما: العقيدة الصحيحة.

٣. تذييل الآيات باسمين من أسماء الله ﷻ يناسب مضمون الآية:

ختمت الآية في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة:١٢٨، "التَّوَّابُ الرَّحِيمُ من صيغ المبالغة، على وزن فعّال وفعيل"[1]. وفي سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ إبراهيم: ٣٦ ،" تأدب في مقام الدعاء ونفع للعصاة من الناس بقدر ما يستطيعه. والمعنى: ومن عصاني أفوض أمره إلى رحمتك وغفرانك. وليس المقصود الدعاء بالمغفرة لمن عصى. وهذا من غلبة الحلم على إبراهيم عليه السلام"[2]، ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٣٨-٣٩،

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ١/ ٣١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٢/ ٢٦٢.

وقال: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٣٩، "تعليل لجملة ﴿ وَهَبَ ﴾ إبراهيم: ٣٩ ، أي وهب ذلك لأنَّه سميع الدعاء. والسميع مستعمل في إجابة المطلوب كناية، وصيغ بمثال المبالغة أو الصفة المشبهة ليدل على كثرة ذلك وأنَّ ذلك شأنه، فيفيد أنَّه وصفٌ ذاتي لله تعالى"(١).

٤ . الحديث عن البلد الأمين:

جاءت كلمة "بلداً" بصيغة التنكير في سورة البقرة ، "واسم الإشارة في قوله: ﴿ هَٰذَا بَلَدًا ﴾ مراد به الموضع القائم به إبراهيم حين دعائه، وهو المكان الذي جعل به امرأته وابنه وعزم على بناء الكعبة فيه إن كان الدعاء قبل البناء، أو الذي بني فيه الكعبة إن كان الدعاء بعد البناء، فإنَّ الاستحضار بالذات مُغْنٍ عن الإشارة الحسية باليد؛ لأنَّ تمييزه عند المخاطب مُغْنٍ عن الإشارة إليه؛ فإطلاق اسم الإشارة حينئذ واضح...، وقد عدل هنا عن بيان المشار إليه اكتفاء عنه بما هو واقع عند الدعاء؛ فإنَّ إبراهيم دعا دعوته وهو في الموضع الذي بنى فيه الكعبة؛ لأنَّ الغرض ليس تفصيل حالة الدعاء؛ إنما هو بيان استجابة دعائه وفضيلة محل الدعوة، وجعل مكة بلداً آمنا ورزق أهله من الثمرات، وتلك عادة القرآن في الإعراض عما لا تعلق به بالمقصود، ألا ترى أنَّه لَمَّا جعل البلد مفعولاً ثانياً استغنى عن بيان اسم الإشارة، وفي سورة إبراهيم لَمَّا جعل ﴿ ءَامِنًا ﴾ مفعولاً ثانياً بَيَّنَ اسم الإشارة بلفظ البلد، فحصل من الآيتين أنَّ

---

(١) المصدر السابق:١٢/ ٢٦٥.

إبراهيم دعا لبلد بأن يكون آمنا. اجعل هذا المكان بلداً آمناً ، أي قرية آمنة فيكون دعاء بأن يصير قرية، وأن تكون آمنة.

وإن كان المشار إليه في وقت دعائه قرية بنى أناس حولها ونزلوا حذوها، وهو الأظهر الذي يشعر به كلام الكشاف[1] هنا، وفي سورة إبراهيم كان دعاء للبلد بحصول الأمن له وأمَّا حكاية دعوته في سورة إبراهيم بقوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ فتلك دعوة له بعد أن صار بلداً"[2].

وذكر في موضوع آخر الفرق بين تنكير "بلداً" في سورة البقرة، وتعريف "البلد" في سورة إبراهيم فقيل :" في قوله تعالى: ﴿ ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، وقوله في سورة إبراهيم : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ ما يشعر بأنَّ بين « البلد » و «بلداً » فرقا، وهذا ما يحدّث عنه التاريخ ، من أنَّ إبراهيم كانت له عودة إلى البلد الحرام بعد أن ترك إسماعيل وأمه فيها ، فحين تركهما لأول مرة كانت غير معمورة، فهي «بلد »لم يكتمل بعد، فلما عاد إليها بعد مدة

---

(١) قال الزمخشري: "أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان "بلداً آمناً" ذا أمن كقوله (عيشة راضية) ، أو آمنا من فيه كقوله: ليل نائم".الكشاف:١/ ١٢١. وهو ما بينه بقوله"فإن قلت : أي فرق بين قوله : (اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) وبين قوله : (اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا) ؟ قلت : قد سأل في الأوّل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون ، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال : هو بلد مخوف، فاجعله آمناً) تفسير الكشاف:٢/ ٥٢٣

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١/ ٧١٣-٧١٤

كانت قد أخذت تعمر فهي« البلد » "[1].

وجاء في ملاك التأويل ما يسند القول السابق، إذ يقول: " قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾البقرة: ١٢٦ ، وفي سورة إبراهيم : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾إبراهيم: ٣٥ ، فنكَّرَ في سورة البقرة وعَرَّفَ في سورة إبراهيم بأداة العهد فيسأل عن ذلك. ووجهه والله أعلم أنَّ اسم الإشارة الذى هو "هذا "في سورة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاء بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥ ، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد؛ لا سيما بما تقدم من قول إبراهيم عند نزوله بولده بحرم الله ودعائه أولاً بقوله : "﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾إبراهيم: ٣٧ ، فتعريف البيت تعريف للبلد، فورد اسم الإشارة غير مفتقر إلى التابع المبين جنسه؛ كالجاري في أسماء الإشارة اكتفاء بما تقدمه مما يحصل منه مقصود البيان ، فانتصب بلداً مفعولاً ثانياً، وآمناً نعتاً له، واسم الإشارة مفعولاً أولاً غير محتاج إلى تابع لقيام ما تقدم مقامه، ولو تَعَرَّف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصل مما تقدم؛ بل كان يكون كالتكرار.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١/ ١٣٥.

فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب. وأمَّا سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بد من إجراء البلد عليه تابعاً له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب عطف بيان على قول الخليل، أو نعتاً على الظاهر من كلام سيبويه، وانتصب اسم الإشارة المتبع على أنَّه مفعول أول و "آمناً " على أنَّه مفعول ثان ولم يكن عكس الوارد ليحسن ولا ليناسب، وقيل في الوارد في سورة البقرة أنه أشار إليه قبل استقراره ﴿بَلَدًا﴾ فأراد جعل هذا الموضع أو هذا المكان بلداً آمناً واكتفى عن ذكر الموضع بالإشارة إليه"[(١)].

وأضاف الخطيب الإسكافي[(٢)]: "والجواب الثاني : أن تكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلداً، وإنما طلب من الله تعالى أن يجعله آمناً...، فيجوز أن يكون المراد: اجعل هذا البلد بلداً آمناً، فيدعو له بالأمن بعد ما قد صار بلداً على ما مثَّلت، ويكون مثل قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله تعالى عنها في الموضعين".

وهذا من المتشابه اللفظي بين كلمتي "بلداً " و "البلد " ما يشتبه

(١) ملاك التأويل، أحمد ابن الزبير :١/ ٢٣٥، وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١/ ٦٩٤،وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، إسماعيل محمد:٤/ ٢٢٥.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، محمد الأصبهاني:١/ ٢٨٤-٢٨٥.

بالتعريف والتنكير[1].

٥. الحديث عن البيت الحرام:

في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ إبراهيم: ٣٧ ، وسمي البيت الحرام بيتاً ولم يكن له بناء وقت الدعاء من قبيل المجاز المرسل؛ باعتبار ما كان عليه من قبل؛ فإنَّ تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه، أو باعتبار ما سيؤول إليه الأمر من بنائه عليه السلام، واختار أبو السعود التوجيه الأول[2].

والقولان مبنيان على أنَّ دعاء إبراهيم عليه السلام كان وقت إسكانه إسماعيل وأمه هاجر بهذا الوادي قبل بنائه البيت.

ويرى ابن عاشور:" أنَّ هذا الدعاء صدر بعد زمان من بناء الكعبة وتقري مكة"[3].

وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ البقرة: ١٢٥، المقصود به: البيت الحرام.

وفي قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ البقرة: ١٢٧، ذكر في هَذِهِ الآية رَفعُ إِبرَاهِيمَ وإسَماعِيلَ لِقَوَاعِدِ البَيتِ، وَبَيَّنَ في سُورَةِ "الحَجِّ" أَنَّهُ أَرَاهُ مَوضِعَهُ بقولِهِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾

(١) البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب "ملاك التأويل "، إبراهيم الزيد:١/ ٣٥

(٢) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٥/ ٥٢

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٢/ ٢٦٣

الحج: ٢٦، أَي: عَيَّنَّا لَهُ مَحِلَّهُ وَعَرَّفنَاهُ بِهِ. وقد عُرِفَت الكعبة باسمِ البيتِ من عهدِ الجاهلية، والمقصود بالبيت هنا: الكعبة وَعُرِفَت بالبيت تغليباً [١].

٦. طلب إبراهيم ﵇ من الله ﷻ أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام وأن يكونوا مسلمين:

لما كان نزول سورة إبراهيم مكية، ومن خصائص السورة المكية تقرير الألوهية ونبذ عبادة غير الله ﷻ، جاء السياق صريحا بطلب إبراهيم باجتناب الأصنام وتوحيد العبادة لله [٢]، فقال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥، والمراد بالدعاء بالنسبة لإبراهيم ﵇ طلب الثبات والدوام على التوحيد ودين الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام، والمراد ببنيه أبناء صلبه، وقيل المراد: جميع نسله. فاستجيب له في البعض [٣].

وجاء في سورة البقرة: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥ ، والمراد بتطهير البيت : تنظيفه من ما لا يليق به من الأوثان الحسية والمعنوية، والإضافة في "بيتي" للتشريف والتكريم، وفي الأسلوب إيضاح بعد إبهام، وتفسير بعد إجمال، وهو من ألوان الإطناب، وفيه تشويق للنفس وإثارتها للوقوف على تفسير العهد [٤].

---

(١) المرجع السابق:١/ ٦٨١

(٢) الجانب الفني في قصص القرآن، عمر باحاذق:٦٦.

(٣) روح المعاني، محمود الألوسي:٧/ ١٣،٢٣٤، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٣/ ٢٣٨

(٤) فتح القدير، محمد الشوكاني:١/ ٢١٥، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد =

٧. **طلب إبراهيم ﷺ الرزق لأهله:**

وقد جاء الدعاء بطلب الرزق في سورة إبراهيم بعد أن دعا ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وذكر إبراهيم ﷺ أنَّه أسكن ذريته بوادي غير ذي زرع عند البيت المحرم الذي لم ترفع قواعده بعد، ثم دعا بعد تحقيق الألوهية أن يقيموا الصلاة وسأل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي لهذا البيت، تهوي : فيه استعارة؛ لأنَّ حقيقة الهويّ النزول من علو إلى انخفاض، كالهبوط، والمراد : تُسْرِعُ إليهم شوقاً وحباً من مكان بعيد ، بعكس " تحنّ " فهو قد يكون من المقيم بالمكان.

ثم سأل الله أن يرزقهم من هذه الثمرات، وذكر إبراهيم لذلك مع علم الله الواسع الذي لا تخفى عليه خافية؛ إنما هو من باب التذلل والالتجاء لله ﷻ.

في حين أنَّه في سورة البقرة سأل الله أن يجعل هذا بلداً أمناً وعقب هذا السؤال بطلب الرزق من الثمرات لأهله، وخَصَّ من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأنَّهم في هذا الموضع وكون السورة مدنية قد رسخ التوحيد ووضح، استجاب الله دعا إبراهيم ﷺ في سورة إبراهيم قدَّم الدعاء برزق أهله من الثمرات.

واللام في الثمرات : للاستغراق العرفي، أي من جميع الثمرات

=

القنوجي:١/ ٢٢. قال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: تقدمة أمر يُعلم ويحفظ من قولك: عهدت فلانا في المكان، أي: عرفته، وشهدته. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن ابن الجوزي:٤/ ٢٩٢

المعروفة للناس[١].

وفي كلا الموضعين أتى بلفظ الرزق؛ وطلب ما يختص بالطعام والتفكه ونحو ذلك يناسبه لفظ " الرزق " حيث يدل على عطاء لوقت ، ثم حمل عليه غير الموقوت[٢].

وفي سورة البقرة خَصَّ إبراهيم المؤمنين بدعائه فقال: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ البقرة: ١٢٦، وفي تخصيصهم بالدعاء: إظهار لشرف الإيمان، وإبانة لخطره، واهتمام بشأن أهله...، وفي حكايته ترغيب وترهيب لقريش وغيرهم لكي يؤمنوا وينالوا رزق الله[٣].

وقالوا إنما خَصَّ إبراهيم عليه السلام دعاءه بالمؤمنين؛ لأنَّه لما قال له الله عز وجل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٤ ، احترز من الدعاء لمن ليس مرضياً عند الله تعالى، فَقَيَّدَ دعاءه بالمؤمنين؛ ولكنَّ الله تعالى أرشده إلى كرمه الشامل ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقـــــــرة: ١٢٦، وفصل هذا عما قبله للاستئناف المبني على سؤال مقدر، كأنَّه قيل: فلماذا قال له ربه عز وجل حين طلب ذلك؟

فقيل: قال ومن كفر ... [٤].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور :١/ ٧١٥

(٢) مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس : مادة "رزق":١/ ٣٦٢.

(٣) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:١/ ١٥٩

(٤) حاشية الشهاب، أحمد الخفاجي:٢/ ٢٣٧

٨. الحديث عن الصلاة :

جاء الحديث عن الصلاة في سورة إبراهيم صريحاً مرة في كونه علة وسبباً لإسكان إبراهيم عليه السلام من ذريته بواد غير ذي زرع؛ حيث قال: ﴿ لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إبراهيم: ٣٧ ، واللام في ليقيموا "لام كي"، والأخرى في طلب إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل أن يجعله مقيم الصلاة، فقال: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٤٠، و ﴿ مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: مثابراً عليها، مستمراً في إقامتها، أو معدلاً لها، فيكون مجازاً، من أقمت العود إذا قومته وعدلته[1].

وتخصص الصلاة بالذكر في سورة إبراهيم من بين شعائر الدين لفضلها، وتكررها مع الأوقات؛ ولأنَّ السورة مكية فلم يُقَرَّ كثير من الشرائع فارتكز على الصلاة؛ بخلاف سورة البقرة؛ فإنَّه قال: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ البقرة: ١٢٨؛ لأنَّ السورة مدنية وقد شرع غيرها.

أمَّا في سورة البقرة فجاءت إشارات دالة لاستجابة الله عز وجل لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث كَرَّمَ إبراهيم وَشَرَّفَهُ وَبَيَّنَ علو منزلته بالصلاة خلف مقامه، فقال: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾البقرة: ١٢٥ ، وقد سبق الحديث عنه.

وكذا في أمر إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت للمصلين لتهيئة البقعة للصلاة فيها؛ حيث قال ﴿ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

---

(١) روح المعاني، محمود الألوسي:٧/ ١٣، ٢٤٣

البقرة: ١٢٥ وقد ذكر من الصلاة الركوع والسجود وهو من إطلاق البعض وإرادة الكل.

وفي تقديم الطائفين على غيرهم في الآية لاختصاص البيت الحرام بالطواف، أمَّا العكوف والقيام والركوع والسجود فأمور تؤدى في جميع المساجد وغير المساجد[١].

وفي قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥:"التفات من أمر إلى خبر، ليقوّى من شأن الأمر، وليزيد في ظهوره"[٢].

٩. ثناء إبراهيم عليه السلام على ربه عز وجل بعلمه الشامل:

وقد أثنى إبراهيم عليه السلام على الله تعالى بوصفه بما يليق بذاته؛ من علمه التام لجميع المعلومات في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إبراهيم:٣٨، إشارة إلى أنَّه جل جلاله عليم بما ذكره إبراهيم من ضلال كثير من الناس وبمن اتبعه وبمن عصاه، وبذريته التي أسكنها عند البيت الحرام، وبمراده من إسكانهم في هذا المكان وفي هذا تعليم لأهله وأتباعه بعموم علم الله تعالى حتى يراقبوه في جميع الأحوال، ويخلصوا النية إليه[٣].

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:٥٣٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب:١/ ١٣٤.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١٣/ ٢٤٣.

ومجيء الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ إبراهيم: ٣٨، على طريقة نفي الخفاء دون أن يقال: ويعلم ما في السموات و الأرض، تحقيقا لما عناه بقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ إبراهيم: ٣٨، من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى، كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات[١].

ولما في هذه الطريقة من تحقيق التناسق بين نظم هذه الجملة ونظم الجملة السابقة، حيث بنيت الجملة السابقة على إثبات علم الله ﷻ بما يخفون وما يعلنون، وبنيت هذه الجملة على نفي خفاء شيء عن علم الله تعالى.

فجملة ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ تذييل يؤكد علم الله ﷻ بما يخفون وما يعلنون، بجانب ما أثبته من علم الله تعالى بكل شيء في الكون، وهو تذييل جارٍ مجرى المثل لاستقلاله في الإفادة[٢].

وفي هذه الآية قَدَّمَ ﴿مَا نُخۡفِي﴾ على ﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على أبلغ وجه، فكأنَّ تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن؛ ولأنَّ مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلم[٣].

وفي عدم تقييد الفعلين ﴿نُخۡفِي﴾ و ﴿نُعۡلِنُ﴾ بمتعلق معين إفادة للعموم والشمول[٤].

(١) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٥/ ٥٣. بتصرف

(٢) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد:٥٩٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٥/ ٥٣

(٤) روح المعاني، محمود الألوسي:٧/ ١٣، ٢٤١

وقد تقدم ذكر الأرض على السماء – حيث إنَّه خلاف المعتاد – في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إبراهيم: ٣٨ ، ويذكر ابن الزبير الغرناطي سبب تقديم الأرض على السماء، قائلاً : " فناسب هذا تقديم ذكر الأرض على السماء؛ لأنَّ السماء مصعد الأمر ومحل العلو ومسكن الملائكة وهي مشاهدة لهم ...، فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر وكان العلم بما في الأرض أخفى، وهذا بالنظر إلينا، وبحسب متعارف أحوالنا...، فلمَّا كانت الأرض بالنسبة إلى السماء فيما ذكرنا كان أمرها أخفى، وكان أمر السماء أوضح وأقرب ...، فخوطب الخلق على ذلك، فقدم ذكر ما هو عندنا وكأنَّه أخفى، فقيل عند قصد المبالغة في تأكيد الاستغراق والقسم عليه"[١].

وأمَّا في سورة البقرة فقد ذيل الدعاء في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة:١٢٧ ، أي السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاءنا، العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا، والجملة تعليل لاستدعاء التقبل.

فهما يدعوان ربهما ويقدمان بين يدي دعائهما الثناء الجميل على الله تعالى بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وهذا من دواعي قبول الدعاء.

وتأكيد الجملة بـ "إنَّ" وضمير الفصل "أنت"، يدل على كمال يقينهما بما تضمنته من تخصيصه تعالى بصفتي السمع والعلم، وفي الجملة قصر

(١) ملاك التأويل، أحمد ابن الزبير :١/ ٤٩٨

لهاتين الصفتين على الله تعالى عن طريق تعريف المسند باللام، وتأكد هذا القصر بضمير الفصل "أنت".

وقد أفاد القصر إظهار اختصاص دعائهما بالله ﷻ، وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية[1].

والمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم، فكأنَّه هو المختص بهما دون غيره[2].

وعلى هذا فالقصر على سبيل المبالغة، ويجوز أن يكون قصراً تحقيقياً باعتبار متعلق خاص، أي السميع لدعائنا لا يسمعه غيرك العليم بنياتنا وأعمالنا لا يعلمها غيرك[3].

وفي مجيء صفتي السمع والعلم على صيغة "فعيل" مبالغة في إثبات كمال السمع وتمام العلم لله جل شأنه.

وتقديم صفة السمع مع تأخر التقبل عن العمل للمجاورة، ولإحاطة صفة العلم وشمولها لكل الموجودات من مسموعات ومرئيات وغير ذلك[4].

وفيه يظهر الفرق بين سورة إبراهيم في عرض صفة العلم لله ﷻ،

---

(١) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٨/ ١٦١

(٢) التفسير الكبير، الرازي:١/ ٤٧٩، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١/ ٧١٩

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١/ ٧١٩

(٤) إرشاد العقل السليم ، محمد أبو السعود:٤/ ٣٤، روح المعاني، محمود الألوسي:٣/ ٣٤

وتأصيل ذلك في آية مستقلة؛ لكون السورة مكية، وبين عرضه في سورة البقرة؛ حيث رسخت العقيدة وتأصل في النفوس الإيمان بعلم الله ﷻ؛ لكون السورة مدنية.

١٠. حرص إبراهيم عليه السلام على ذريته :

حرص إبراهيم على ذريته حرصاً شديداً؛ ومن صور حرصه عليهم اختصاصهم بالدعاء في سورتي البقرة وإبراهيم، ففي سورة البقرة لما سألا لنفسيهما دوام الإخلاص لله تعالى، طلبا لذريتهما الهداية إلى الإسلام ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ البقرة: ١٢٨. وسألا الله تعالى أن يبعث فيهم رسولا منهم فقالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾البقرة: ١٢٩.

وأمَّا في سورة إبراهيم فقد سأل إبراهيم عليه السلام الله تعالى أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فقال: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥، وأن يقيموا الصلاة فقال: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إبراهيم: ٣٧، وقال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ إبراهيم: ٤٠، وأن يجعل أفئدة من الناس تُقْبِل إليهم فقال: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ ﴾ إبراهيم:٣٧ ، وكذا طلب الله أن يرزقهم من الثمرات فقال: ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ إبراهيم:٣٧ ، وأن يجعلهم مجابي الدعاء حيث شركهم في قوله ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ إبراهيم: ٤٠.

وخَصَّا ذريتهما بالدعاء؛ لأنهما أحق بالشفقة والنصيحة؛ ولأنَّ الأنبياء

إذا صلحوا صلح بهم غيرهم، وشايعوهم على الخير[1].

١١. اشتراك المؤمن والكافر في الدنيا، والتفريق بينهما في الآخرة:

جاءت الشركة بين المؤمن والكافر صريحة؛ وإن اختلف اللفظ في حق كل منهما في سورة البقرة لكون السورة مدنية، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ١٢٦، فكثر الداخلون في الإسلام آنذاك، وفيها تجلت المعاني بوضوح، وعلت لهجة الوعيد، وكذا التفرقة فيما أعد الله ﷻ للمؤمن والكافر في السور المدنية، "فإن قلت: هَلاَّ قِيل: هي للذين آمنوا ولغيرهم؟ قلت: التنبيهُ على أنها خُلِقَتْ للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأنَّ الكفرةَ تبعٌ لهم كقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ البقرة: ١٢٦. وقال التبريزي: "ولم يَذْكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا تنبيهاً أنَّه إنما خَلَقها للذين آمنوا بطريق الأصالة، والكفار تَبَعٌ لهم، ولذلك خاطب المؤمنين بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ البقرة: ٢٩[2].

ثم بَيَّنَ الله ﷻ اختصاص نعيم الآخرة بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأعراف: ٣٢، فقوله: ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى

(١) الكشاف، الزمخشري: ١/ ٣١١

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد السمين الحلبي: ٤/ ٢٧٣

﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، أي: مشتركة بينهم في الحياة الدنيا، ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، أي: خاصة بهم دون الكفار يوم القيامة؛ إذ لا نصيب للكفار البتة في طيبات الآخرة.

وقد بَيَّنَ ﷻ في آيات من كتابه أن إنعامه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكنَّه للاستدراج، كقوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم:٤٤. وقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ آل عمران: ١٧٨.

ودعوى الكفار أنَّ الله ﷻ ما أعطاهم المال ونعيم الدنيا إلا لكرامتهم عليه واستحقاقهم لذلك، وأنَّه إن كان البعث حقاً أعطاهم خيراً منه في الآخرة، قد رَدَّهَا الله ﷻ عليهم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦. وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾ سبأ: ٣٧، وغير ذلك من الآيات[1].

وفي سورة إبراهيم كان هذا الاختصاص للمؤمنين ضمناً؛ حيث جاء في سياق الآيات، ما ترتب عليه دعاء إبراهيم عليه السلام، من ابتدائه بالدعوة إلى

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي:٧/ ١١٦. بتصرف

التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، وأنَّ الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام هو من اتبعه في الملة، ومن عصاه فأمره إلى الله عز وجل.

ومن ثم ذكر العبادة، وَنَصَّ على الصلاة؛ تقدمة لطلبه الرزق بالثمرات لهم، وعلل ذلك الإنعام بأن يكونوا شاكرين، وهذا الشكر والاعتراف بالامتنان إلى الله عز وجل لا يكون إلا من المؤمنين.

ولعل الله عز وجل في هذا السياق أراد أن يرغبهم للدخول في دينه، ونبذ عبادة غيره، ويسند هذا دعوة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٣٦، لا سيما وأنَّ السورة مكية، فاحتيج إلى هذا الأسلوب لاستمالة القلوب واستجلابها. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الباري على نعمه، وله الثناء الحسن أولاً وآخراً، بما تفضل وأجزل، فأحمده على أن أتم هذا البحث ووفق، وقد تبين لي أثناء فترة البحث نتائج؛ من أهمها ما يلي :

- أن القصة القرآنية مستمدة من حقائق ووقائع تاريخية؛ ليس منشأها الإسهاب في الخيال، كما ظنه البعض، ورد عليه بالأدلة.
- السمة الغالبة في القصص القرآني أنها إذا تعرضت لمعنى من المعاني في موضع ثم تحدثت عن القصة في موضع آخر؛ فإنها لا تذكر ذلك المعنى فحسب؛ بل تأتي بمعنى جديد لم يكن قد ذكر في القصة من قبل؛ بحيث لو تضامت جميع الجزئيات في القصة في مختلف السورة لأعطتنا صورة متكاملة لجزئيات تفرقت في مواطنها، وفق مقتضى الحال.
- أن التكرار القصصي جاء لمقصد وأغراض متعددة، متضمنا حكماً وفوائداً، وليس مجرد سرد روائي، وأنَّ كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة الأخرى، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع مراعاة المعنى الأصلي للقصة.
- أظهر البحث بعض سمات الإعجاز في القصص القرآني؛ كسمة التناسب بأنواعه وخاصة تناسب موضع القصة في السورة

القرآنية؛ مع الوحدة الموضوعية للسورة. وسمة الترتيب في القصة القرآنية كالتقديم والتأخير، والزيادة والنقص.

- أنَّ القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ يقص الحوادث حسب تاريخ وقوعها، إنَّما هو كتاب هداية وتشريعات، وعبر وعظات، وليس بالضرورة أن تحكى الحوادث فيه وفق ترتيب وقوعها.

كما يوصي الباحث بدراسة النظم في القصة القرآنية؛ وإظهار خصائص القصة القرآنية؛ وبلاغة التشابه والتكرار؛ ومناسبة الاستدلال بها، مبرزاً الإعجاز البلاغي في استعراض القصص القرآني.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ
- آداب المحاضرة والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٥هـ
- آيات التقوى في القرآن الكريم، حسين علي خليف الجبوري، بحث متعدد الأغراض في التقوى بمعانيها المختلفة كما وردت في القرآن الكريم.
- البحر الزخار، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ١٣٩١هـ

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ
- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب " ملاك التأويل" لابن الزبير الغرناطي ، إبراهيم الزيد ،دار كنوز إشبيليا، ١٣٣١هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية لنشر،١٩٨٤ هـ.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب، لبنان، ١٤٢٢هـ
- تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد صبحي حسن، دار الرشيد، ١٤٢١هـ، بيروت
- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت
- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ
- التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي
- التفسير الكبير من القرآن الكريم، محمد بن عمر الشافعي المعروف

بالفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ١٤١٨هـ
- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية
- الجانب الفني في قصص القرآن، عمر محمد باحاذق، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية ، دار المأمون للتراث.
- حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي، أحمد بن محمد الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر، بيروت
- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، إسماعيل بن محمد الحنفي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ
- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ، الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٤١٢هـ
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الشهير بالسمين

الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم ، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ

- درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبدالله الأصبهاني ،تحقيق محمد آيدين، ١٤١٨هـ.
- دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ
- شرح مشكل الآثار، أحمد محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، ١٤١٩هـ
- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى١٤١٥هـ

- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ١٤٠١هـ
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى ، بيروت دار القرآن الكريم ، ١٤٠٣هـ
- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
- فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عمر الطباع، مكتبة المعارف
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة١٤١٣ هـ
- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، بيروت دار الجيل
- القصة القصيرة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م
- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق عادل

عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

- لسان العرب، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة والعشرون، ١٤١٥ هـ
- المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر الرازي، تحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ
- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن حجر العسقلاني، رسائل دكتوراه، مراجعة سعد ناصر الشثري وعبد الله التويجري، دار العاصمة بالرياض،١٤١٩هـ
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش، دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ
- معجم مصطلحات أصول الفقه، مصطفى سانو، دار الفكر، بيروت

لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملائه، الطبعة الثانية
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف السكاكي تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩٠٣هـ.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق سعيد جمعة الفلاح ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٢هـ
- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م
- الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية، نشر جامعة الشارقة- الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ